الأستاذ الدكتور
أحمد مصطـــفي أبــو الخـــير
الخبير الدولي في اللغة العربية
والمحاضر الدولي والمترجم العربي
عضو الاتحاد
الدولي للغات والترجمة
خادم القرآن الكريم

الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي

١٩١١ـ ١٩٩٨
مع إشارة إلي الحروف المقطعة
أوائل السور

الناشر / المؤلف
٠١٢٢٧٢٠٢٢٨٦
abu_elkher@yahoo.com

طبع بمطابع دار الأصدقاء
المنصورة ـ مصر
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

□

تقدمة

والتي تبدأ بسيرة الشيخ – رحمه الله – ثم عن الصوفي والمفكر المصري الكبير الإمام عبدالوهاب الشعراني للبحث عن صلة بين الرجلين، الشعراوي والشعراني، وإن كنا لم نر إلي الآن صلة ترصد بينهما ......

رحمة الله عليهما أو علي كليهما

محمد متولي الشعراوي

(١٣٢٩ - ١٤١٩هـ)

ولد – رحمه الله – في ١٩١١/٤/١٥م بقرية دقادوس مركز ميت غمر من محافظة الدقهلية، حفظ القرآن الكريم وهو ابن إحدى عشرة سنة، ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني في حاضرة محافظة الشرقية، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه الأشعار ومأثور الحكم والأقوال زامله في معهد الزقازيق: (د. محمد عبدالمنعم خفاجي، والشاعر الدمياطي طاهر أبو فاشا – والأستاذ خالد محمد خالد – أستاذنا الدكتور أحمد هيكل أستاذنا في كلية دار العلوم ١٩٦٦ – ١٩٧٠ – الدكتور حسن جاد).

وبقي الرجل في معهد الزقازيق إلي أن عزم والده إلحاقه بمعهد القاهرة الديني، وهنا اشترط الشاب علي والده شراء مجموعة من أمهات المراجع والمصادر العربية، وكان هذا سبباً في رأينا في سعة معلوماته ومحفوظاته التي أفاض بها علي مستمعيه ومحبيه.

ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٣٧م، وعندما تخرج فيها عمل مدرساً في المعاهد الدينية في طنطا ثم الزقازيق ثم الإسكندرية، ثم سافر عام ١٩٥٠م إلي السعودية لتدريس الشريعة في جامعة أم القرى.

وبرغم أن الشيخ تخرج في كلية اللغة العربية إلا أنه درّس مادة العقائد التي كلف بتدريسها، وهو ما يشير إلي تمكنه من ناصية اللغة ما جعلنا نختار الجوانب اللغوية التي أبدع فيها الشيخ في تفسيره المميز المتميز.

في عام ١٩٦٣ حدث الخلاف بين الزعيم الخالد الذكر، طيب العطـــر الزعيم العظيم جمال عبدالناصر مع السعودية، وعليه فقد منع الشيخ مـــن العودة إلي السعودية، فعين مديراً لمكتب شيخ الأزهر في القاهرة الشـــيخ حسن مأمون، رحمه الله.

ولكن الشعراوي عاد إلي السفر مرة أخرى فسافر إلي الجزائر رئيســـاً لبعثة الأزهر هنالك، بقى في جزائر العرب والعروبة ٧ سنوات، بعـــدها عاد الشيخ إلي مصر، تدرج في المناصب والوظائف حتى أصبح وكـــيلاً للأزهر الشريف، ثم عودة مرة أخرى إلي السعودية أستاذاً فـــي جامعـــة الملك عبدالعزيز.

وفي وزارة ممدوح سالم ١٩٧٦م اختير الشعراوي وزيراً للأوقـــاف، فبقى إلي عام ١٩٧٨م.

وفي وزارة الشيخ – رحمة الله – فوض في إنشاء أول بنك إســـلامي في مصر، وهو بنك فيصل الإسلامي، ثم ؟ ثم في عـــام ١٩٨٧م اختيـــر الشعراوي عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

بقي أمران:

١- دور الشيخ في تصديه النـــاجح والناجـــب لأوهـــام المستشـــرقين وتحرشاتهم وتنمراتهم.

٢- شاعريته الدفاقة، الثرة والثرية، فإن الشاعر لا يقرض الشـــعر إلا بعد حفظ مالا يحصى من عيون الشعر وفائته.

وتأسيساً علي ما سبق كان للشيخ إسهامه الموسوعي فـــي التـــدريس والتأليف والإعلام، وعلي رأس كل هذى المنجزات هذا التفسير العمـــلاق الفائق والذي اعتمد علي عدة أسس:

- حفظ للقرآن منذ الطفولة المبكرة أولاً.
- دراسته في الأزهر ثانياً.
- دراسته في كلية اللغة العربية وتخرجه فيها؛ ما أعطاه هذه الخلفية اللغوية العملاقة ثالثاً.
- قراءاته واطلاعاته علي مجموعة المراجع من الأمهات التي أشتراها والده له رابعاً.
- صحبته لعدد من جيل الرواد - الذين ذكرنا أبرزهم - خامساً.
- انخراطه في أنشطة ثقافية وسياسية واجتماعية سادساً.
- شاعرية دفاقه وذاكره قوية فاعلة سابعاً.

كل ما سبق كان من الأسس الراسخة والعمد القوية فيما أنتجته قريحة الشيخ وما وعته ذاكرته الحديدية في التدريس والكتابة والتأليف والإعلام وتفسيره المتميز والذي ألقاه علي الناس بشخصه ولحمه وشحمه أمام جمهوره ومحبيه.

وبعد حياة حافلة بالعطاء والمواقف وعلي رأسها اعتراضه عام ١٩٥٤ علي الملك سعود عندما هم بنقل مقام إبراهيم من مكانه والرجوع به إلي الوراء قليلاً لإفساح مجال أوسع وأفسح للطائفين الذين ضاق بهم المطاف، وفي النهاية استجاب الملك للشيخ وقبل مقترحاته في هذا الشأن.

بعد هذى الحياة الثرية المعطاءة توفى الشيخ في ١٩٩٨/٦/١٧م وعاد الجثمان الكريم ليدفن في قريته دقادوس - رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسائح جنانه.

سيدي عبد الوهاب الشعراني

٨٩٨ - ٩٧٣هـ

ينتهي نسبه إلي الإمام علي، ولد في قرية قلشندة المصرية من أعمال محافظة القليوبية بالقرب من الحاضرة بنها، ثم انتقل إلي ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وإليها نسبته (الشعراني) ثم انتقل إلـي القـاهرة عـام ٩١١هـ وعمرهُ ١٢ عاماً - ترك عديداً من المؤلفات، من أبرزها:

- درر الغواص علي فتاوى سيدي علي الخواص.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.
- البحر المورود في المواثيق والعهود.
- الطبقات (الصغرى - الوسطى - الكبرى).

دفن - رحمه الله - في شارع بورسعيد بالقاهرة - الذي يبدأ بمرقـد السيدة زينب - في مسجده بميدان باب الشعرية.

والآن نختم هذي التقدمة بلغة الشيخ في أحاديثه الإعلاميـة الصـوتية والمرئية، فنقول:

لقد بدأ الشيخ منذ سبعينات القرن الماضـي بالفصـحى الخالصـة، أو الملامسة لهذى اللغة الفصيحة، ثم رويداً رويداً تحول الشـيخ للغـة، هـي أمشاج من فصحى مختلطة بالعامية، أو قل نصفها فاصح والنصف الآخـر عامي.

وأخيراً، وفي التسجيلات الأخيرة في أخريات حياه الرجل في تسجيلاته كانت العامية المزدانة بعناصر فصيحة، حتى كان الشيخ علـي مسـافة قصيرة من فهم عامة الناس وقلوبهم.

وإذا استخدمنا نظرية الدكتور مهدي العش[١] في بحثه عن: (اللغة العربية في الولايات المتحدة) الذي ترجمناه عن اللغة الإنجليزية، ونشرناه في مصر عام ٢٠٠١م.

ملخص نظرية العش أو نظرته أن اللغويين والمسئولين الأمريكان لاحظو أن العرب المغتربين في الولايات المتحدة عندما يتكلمون العربية يحشرون في فصحاهم عناصر لهجية محلية تقتحم علي العرب فصحاهم، ولذا فإن المستعرب الأمريكي الذي تعلم الفصحى العربية فقط لا يفهم ما يقال.

ولذا حاول الدكتور العش أن يحصر ويحصى أبرز العناصر المحلية التي يحشرها العرب في فصحاهم من عاميتهم المحلية في مسعى منه لتضمين دروس العربية المقدمة للأمريكان هاتيك العناصر اللهجية المحلية.

لذا أعلنوا عن وظائف في شركة اتصالات أمريكية تضع شرط الفوز بهذي الوظيفة الحديث بالفصحى النقية الخالية من أية عناصر لهجية في فصحاهم.

ومن عجب أن بعض المتقدمات التي أجرى معها الحديث تكلمت بعامية خالصة، دون عناصر فصيحة (توهان ياحبيباه !!!).

وقد أظهرت المقابلات مع المقاتلين العرب في أمريكا بأن العربي – أي عربي – برغم اغترابه عن الوطن إلا أنه يحشر بعض العناصر المحلية اللهجية في لغته الفصيحة، وكذا كل متكلم بالعامية من بني يعرب هو يحشر في عاميته عناصر فصيحة، وهكذا فإن كل متكلم عربي هو علي هذا الخط:

---

١) أمريكي من أصل سوري، يعيش في الولايات المتحدة.

العامية ⟵ ○ ⟶ **الفصحى**

كل متكلم بالعربية هو متموقع علي هذا الخط، علي اليمين أو علي اليسار، أو المنتصف، في فصحاه شيء من عاميته، وفي عاميته شيء من عناصر الفصحى، أو من عناصر فصيحة.

ونرى أن الشيخ بدأ أحاديثه بفصحى خالصة، ثم تحول أخيراً إلي اقتراب إلي اليسار، أو من اليمين الخالص، الفصحى الخالصة إلي عامية بها عناصر فصيحة، وللشيخ رأيه وخريطته وأخذه بالفصيح أو الاقتراب من العامية أو العامية المخلوطة بفصحى، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والآن إلي الدراسة التي تبدأ في جزئها الأول بفاتحة الكتاب، ثم فاتحة البقرة التي تأتي ثانية السور في قرآن ربي، والله المستعان وعليه التكلان.

المؤلف

أحمد مصطفي أبو الخير

في مدينة ههيا العامرة

٢٠٢٢/٥/٧م

حلقة مقدمة التفسير
حول القرآن الكريم

يصر الشيخ – رحمه الله – أن ما يقدمه ليس تفسيراً للقـــرآن الكريم، إنما هي في رأيه – هبات صفائية علي قلب المؤمن في هذى الآية أو تلك، وليست تفسيراً، فإن أولـــي النـــاس بتفســـير القرآن هو رسول الله (ﷺ) الذي فسر لأصحابه أو بين للنـــاس علي قدر حاجتهم في البيان، فبين الأحكام التكليفية التـــي يثـــاب المرء إن فعلها ويُعاقب إن تركها.

أما فيما يتعلق بكونيات الوجود وأسرار القرآن حـــول ذيـــاك الوجود، فقد اكتفى الرسول (ﷺ) بما علم هو نفسه فيما وجـــد فيه استشرافاً للفهم، لكنه لم يشع ذلك ولم يعمم.

علي أي الأحوال فإنا نرى أن ما قدمه الشـــيخ هـــو تفســـير تفسير، لكن العالم الجليل آثر التواضع فسماه خـــواطر، وســـواء أقلنا إنه تفسير أو خواطر فلا مشـــاحه فـــي اللفـــظ إذا عرفـــت الحقائق التي سنتحدث عنها، وهي الجوانب اللغوية فـــي تفســـير الشعراوي، والتعليق عليها.

ومن الجوانب اللغوية التي تعرض لها الشيخ في هذى المقدمة: كلمة القرآن: مصدر، أي قرأ قرأناً، مثل: غفر غفراناً، وأصبح علماً علي الكمية الكلامية النازلة علي محمد قصد التحدي، ويسميه الله كتاباً، فإذا لاحظت القراءة فهو قرأن، وإن لاحظت الكتابة التسجيلية فهو الكتاب، القراءة تستلزم حافظاً يقرأ، إذ القرآن له وسيلتان من وسائل الحفظ، يحفظ في الصدور، ويكتب في السطور، ولذا حين كتب القرآن علي عهد عثمان لم يك يكتب آية إلا إذا وجدها مكتوبة ولها شاهدان من الحفاظ، أية واحدة وجدناها مكتوبة، لكنها كانت محفوظة عند واحد فقط، لا اثنين.

هي آية واحدة[١] وجدها عند خزيمة وحده فذكرت كلمة رسول الله في قوله: (من شهد له خزيمة فحسبه)؛ فما السبب ؟ لقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ مديناً لدائن جاء يستقضيه، فقال له: لقد أعطيتك الدين !! قال هات شاهداً، فلم يجد محمد غير خزيمة الذي قال أنا شاهد علي أن الرجل أخذ ديْنه، ويعجب الرسول، ولكن خزيمه

١) قوله تعالي: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، سورة التوبة، آية ١٢٨، وفي روآية أنها: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ....﴾، سورة الأحزاب، آية ٢٣.

يفسر تصرفه بأنه صدقه في كل ما قال، وما جاء مـن عنـد الله، فكيف يكذبه في دريهمات لا يقمـن الصـلب، فسُـر رسـول الله باستنتاج صحبه، وأعطاه هذى الجائزة، أي شهادته بشهادة رجلـين اثنين، لأنه أحسن الفقه والاستنتاج والتصرف والفهم.

مفهوم الوحي: إعلام بخفاء (قال الشيخ، شـارحاً: كمـا إذا جاءك (ضيفن) ضيف لم يُدع، وهو ثقيل فأشرت إلي الخـادم أو الحاجب بأنك لا ترغب في لقائه، هذا إعلام بخفـاء، وهـو مـا يسمي بالوحي.

الله يوحي إلي الملائكة، ويوحي إلي النحل، ويـوحي لغيـر أنبياء، أم موسي مثلاً – الشياطين يوحي بعضهم إلـي بعـض، ويوحون إلي أوليائهم، فالوحي عندما يطلق بعموم فإنمـا يطلـق علي وحي من الله لرسوله، هذا الوحي الاصطلاحي، والآخر من غير الله هو وحي لغوي، غير اصطلاحي، أما وحي الله فيـأتي بطرائق ثلاث:

- الوحي (إعلام بخفاء) إلهام، وعلامته التسليم المطلق لكـل ملكات النفس دون معارضة.
- أو من وراء حجاب، كما كلم الله موسي.

- أو يرسل رسولاً، كما كان يرسل جبرائيل مثلاً.

القرآن خاصة جاء من طريق جبرائيل، لا إلهام ولا كلام من وراء حجاب مع تنبيه الرسول إلي حضور جبرائيل، فكل آيـــات القرآن إنما جاء من طريق أمين الوحي ورسول الحق.

كتابة القرآن: أشار الشيخ إلي حقيقة واضحة في كتابة الكتاب الكريم، ألا وهي: إن كتابة بعض الكليمات فـــي القـــرآن إنمـــا انكتبت بطرائق قددا، ومنها:

- ربا، كل كلمة ربا مكتوبة بالواو إلا آيـــة واحـــدة انكتبـــت بالألف.

- تبارك: بعضها بالألف وبعضها بغير الألف.

- بسم الله بدون ألف، باسم ربك بالألف.

إذ يرى الشيخ أن القرآن له كتابه خاصة، وفي: الحلقة الثانية: عاد الرجل إلي موضوع كتابة القرآن، إلـــي نفـــس الموضـــوع ليشير إلي:

- من يشيعون أن صحابة رسول الله ما كانوا يجيدون قواعد الكتابة، ولذا حذفوا الآلف من (اسم) ومن (تبارك) إنه يقول لقائل بما سبق: يا شيخ: أنصف يا عاقل، يا من ترى نفســك مفكـــراً،

تقود الفكر في الشرق كله، فكر جيداً، لو أن هذا خطأ إملائي من الصحابي – كما تقول – الرئي هذا الخطأ في كل مكتوبات القرآن، ثم يتساءل الشعراوي: لماذا قرأنا في أول البقرة: (ألم) = آلفْ لامْ ميمْ، وفي سورة الشرح قرأنا (الم نشرح ....)، وكذا أول سورة الفيل، لماذا كانت: (الم) = ألف لام ميم في البقرة وكانت (ألم تر ...) في السور الأخرى ؟؟ ما يدل أن ذلك أمر توقيفي قرأها جبرائيل هكذا علي محمد، ومحمداً قرأها للصحابة هكذا ... إلي أن وصلت إلينا، فالرسم لا دخل له هنا.

وقبل أن نستمر مع عالمنا الكبير نشير إلي بضع ملاحظ: راجعت بالفعل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم والآيات التي استشهد بها الشيخ، فوجدت:

– (ربا) وقعت في القرآن – في مصحف حفص – ٨ مرات منها في البقرة فقط خمس مرات، ومرة في آل عمران، وأخرى في النساء، وفي كل هاتيك المواضع انكتبت بالواو، هكذا: (ٱلرِّبَوٰاْ) واو عليها شرطة إشارة إلي الفتحة ثم دائرة خالية الوسط – غير مطموسة – دلالة علي عدم نطقها.

موضع واحد في القرآن انكتب كلمة (ربا) بالألف في سورة الروم فقط.

- (تبارك): وقعت في القرآن = ٩ مرات، منها في الفرقان فقط = ٣ مرات، وكلها انكتبت بالألف عدا موضعين اثنين فقط، آخر الرحمن، وأول الملك، فهل هذا هو السبب في بداية سورة ونهاية أخرى، أي نهاية سورة وبدء الأخرى.

وأنا أسّاءل هل هناك حكمة في كتابة الكليمتين السابقتين (ربا – تبارك) أو غيرهما بهذى الصورة ؟ إن كان ثم حكمة فمن يدلنا – يدلني – عليها، ولماذا لا نوحد النموذج اتكاءً علي مبدأ الأغلبية والتي كانت بالألف في الكلمتين، أو في غيرهما ؟! ولعل لنا عود محمود وأحمد، يحمد فلا ينكر، ولنا عود لهذى النقيطة.

ويستدل الشيخ – رحمه الله – علي وجهة نظره هذه بأن كلمة اسم تكتب في القرآن مرة بالألف (باسم ربك) مثلاً، ومرة بدونها (بسم الله) وإن بينهما لفرقاً، الأولي (باسم ربك) قد وقعت في القرآن = ٤ مرات، والثانية (بسم الله) = ٣ مرات قد جاءت باسم الجلالة الأعظم (الله) والأخرى جاء اسم آخر من أسماء الله الحسنى (رب + ك) = ربك.

ولذا تبقي (البسمان = ب + اسم + ربك / الله، كما هما حتى في الكتابة الإملائية العادية.

والشيخ يعارض رأي أستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين – رحمه الله – الذي كان يرى أن الصحابة – رضوان الله عليهم – إنما كتبوا القرآن الكريم كما كانت الكتابة علي عهدهم، وإنما كتابتهم عن اجتهاد بشري، لا عن وحي إلهي، في حين يرى عالمنا الجليل أن هذى الكتابة وذياك الرسم إنما كان عن وحي إلهي، فهي توفيقية ولا أرى هذى، وإنما الرسم (توفيقي) أي أن الله قد وفقهم في هذا النحو الذي نحوا إليه.

ونحن لا نقول أن يكتب القرآن كله بالرسم الإملائي العادي بل يعاد النظر في كل كلمة مختلفة الرسم والرسوم، فإن رأينا مبرراً لاختلاف الرسوم – كما في: باسم ربك، وفي: بسم الله، أبقينا علي الرسمين في المصاحف، وفي غيرها من الرسم الإملائي العادي.

ولكن في أمثلة أخرى نغير الرسم إن لم يبدُ أمامنا مبرر للخلف أو الخلاف، كما سبق من أمثلة، وفي أمثلة أخرى، مثل: قل لي يا أخا بني يعرب: لماذا انكتبت كلمة (بُرَءَٓؤُاْ) أية ٤ سورة الممتحنة

بهذى الصورة، وما ضر - يا أخيَّ - لو أنكتبت بهذى الصورة (برآء) وهل هنا مبرر لكتابتها علي الصورة الأولي.

ونستأذن القارئ في استطرادة قريبة من هذي الأمثلة التي نضربها إلي قولة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - التي يدفعها عنها مدافعون عن الرجل، وهي:

إني أجد فيه لحنا ستقومه العرب بألسنتها.

وما أرى في هذا شيا - شيئا - يحتاج إلي شيء من تأويل، كيف ؟:

- إن الرجل لا يقصد القرآن أو النص القرآني، إنما يقصد الكتابة، أو الرسم العثماني الذي انكتب علي عهده، والذي كتبت به المصاحف، إنه يعلق علي العمل برمته - أي عمل الكتابة - بأن فيه ما سوف تصلحه العرب بألسنتها.

- إن هذى القولة بأن المعول في قراءة القرآن علي الحفظ في الصدور، لا الكتابة في السطور، فالمحفوظ هو الأصل، أي النطق والقراءة والمشافهة، وهو الأصل، وإنما الكتابة هي الصورة فقط، وفرق بين الأصل وبين الصورة، وبين الخريطة والأرض، والمكان وما تصوره الخريطة.

- ثم هل اللحن معناه (الخطأ) كلا، كـــلا، هـــذا جـــزء مـــن المعني، أو - قل - هو من المعني، أو - قل - هو من المعنـــي الأصل، وهو ما توكدنا منه بعد أن راجعنا مادة: (ل ح ن) في المعجم العربي، إذا اتضح لنا أن مفهوم اللحن في معاجم عربيـــة بني يعرب يتفرع إلي قسمين رئيسين:

الأول وهو الأصل يتمحور حول:

لحن القول: فحواه ومعناه، قال تعـــالي: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾[1] ومن اللافت - أو الملفت - أن هذى الكليمة (لحن) لم تقع في القرآن في غير هذا الموضع الوحيد.

لحون العرب: جاء في الحديث الشريف: (أقرءوا القرآن بلحون العرب) لهجاتها أو (لغاتها) والألحان واللحون مفردها لحن.

ألحن الحجة: جاء في الحديث: (ولعل أحدكم ألحن في حجتـــه من الآخر) أفطن وأمهر في حجته من خصمه الآخر، فاللحن - بفتح الحاء - الفطنة والمهابة.

لحن في قراءته: من باب (قطع) إذا طرب بها وغرد، وهـــو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء.

١) سورة محمد، آية ٣٠.

هذى ابرز معاني اللحن في قسمه الأول، وفي القسم الثاني من المعاني ما يلي:

اللحن: الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، ويقال: فلان لحـــان، ولحانة – التاء للمبالغة – أيضاً، أي يخطئ.

التلحين: التخطئة.

فاللحن بمعني الخطأ هو في زاوية ضيقة من زايـــا المعنـــي، وأرى أن عثمان – رضي الله عنه – ما قصد في نص القـــرآن شيئاً بله اللحن، إنما قصد شيئاً من الكتابة.

ملحظة أخيرة حول معاني اللحن، تيك الملحظة أن كل معنـــي من هاتيك المعاني لها – له – باب مختلف عن الآخـــر، هـــذى الأبواب هنا منحصرة ما بين باب: (قطع) وباب: (طرب) وهذى الملحظة تضاف إلي عجائب عربية بني يعرب.

وللشيخ – شيخنا – رحمه الله ملحظة مهمـــة بائنـــة الـــذكاء والفطنة، وهي: إننا إذا اعتمدنا علي الرسم فقـــط رأينـــا بدايـــة سورتي الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ والفيـــل: ﴿أَلَـــمْ تَـــرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيـــلِ﴾، فكيـــف تفـــرق بـــين بدايـــة السورتين وبداية سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إنها

لا تقرأ (ألم) كما في الشرح والفيل، إنما تقرأ مقطعة: ألفْ، لامْ، ميمْ) وليس كما في السورتين المذكورتين.

ولا أعارض شيخنا – رحمه الله – إنما أضيف أمرين، هما:

قولة الرسول (ﷺ): ... لا أقول: ألفْ / لامْ / ميمْ (ألم) حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف وميم حرف.

هذا توكيد – يا شيخنا – من سيد الخلق (ﷺ) – لاستقلالية كل منها، سيما في القراءة، ما يختلف عن بداية سورتي الشرح والفيل.

وثاني ما أقوله – هنا – لشيخنا الجليل:

جاء في الإتحاف[١] بتصرف منا قليل: (وأما السكت علي ... حروف الهجاء في فواتح السور: ألم / الر / كهعص / طه / طسم / طس / يس / ص / ق / ن / فسكت أبو جعفر – ت١٣٠هـ – شيخ الإمام نافع – رحمهما الله ... سكت علي نهاية كل حرف منها ....) بينت هذه القراءة – أو الرواية – بهذي السكت أن الحروف كلها ليست للمعاني كالأدوات للأسماء والأفعال، بل هي مفصولة، وإن اتصلت رسماً ... وأوردت مفردة من غير عامل ولا عطف، فكانت كأسماء العدد – عند

١) ص٦٣.

العد – إذا وردت من دون عامل ولا عطف، تقول: / واحدْ / اثنان / ثلاثة / ساكنة الآخر مفصولة، كما رأينا.

ومن يدري لعل عثمان كان يشير إلي هذى المسألة وأضرابها، ففي البقرة – مثلاً – شيء – وفي سورتي الشرح شيء آخر، بنطق آخر، في الأولي: ألفْ – لام – ميم، وفي سورتي الجزء الثلاثين: (ألم) = همزة الاستفهام + أداة الجزم (لم).

وما يدريك أيها المجاحش – عن عثمان رضي الله عنه – أنه قصد هذا المثال وأضرا به من مخالفة الرسم، لقد حل لسان العرب ونطقهم هذى الإشكالية وأمثالها، مثل !! مثل ماذا يا سارد السطور ؟ مثل قوله تعالي علي لسان نوح – عليه الصلاة والسلام لابنه: ﴿يَا بُنَيِّ ارْكَب مَّعَنَا ﴾ – بإدغام الباء في الميم، أي: (يابني اركم معنا) بالميم، لقد صحح العرب بألسنتها (لغاتها ولهجاتها) ونطقها هذا الإشكال، ولذا كنا ونحن صغار نحفظ القرآن بعجب كيف تنطق ميماً، وهي قد انكتبت بالباء، فالحق والحقيقة المحققة أن المعول علي الحفظ والقراءة لا علي الرسم والكتابة، ولا فض فوك أيها الشيخ الخبير الخرير – رحمه الله.

ولتسمح لنا – يا شيخنا – أن نسر في أذن القارئ الكريم شيئاً، ألا هو أن الرسم المصحفي الآن، والذي به تكتب

المصاحف، ليس هو الرسم العثماني الذي كتبت المصاحف علي عهد عثمان، أو ما يسمي بالمصحف الإمام، إنما المصاحف الآن تكتب بما يسمي الرسم المصحفي، فهل هناك من فرق بينهمـــا، فما الفرق الفارق بينهما ؟ :

الرسم العثماني: هو ما انكتب علي عهد عثمان، هذا الرســـم الذي أشار إليه عثمان بأن فيه لحناً ستقيمه العرب بلسانها.

الرسمي المصـــحفي: الآن، الآن دخلته عدة تعــديلات علـــي الرسم العثماني، مثل نقط الشكل ونقط الإعجام وعلامة الســـكون الشديد والخفيف، ورأس العين علي الألف لتـــدل علـــي الوقفـــة الحنجرية، أو همزة القطع، ورأس الصاد علي الألـــف لهمـــزة الوصل ... الخ.

الرسم الإملائي: الحديث الذي يكتب بـــه النـــاس الآن، وقـــد اختلف عن الرسم المصحفي الحالي بإدخال كل التعديلات علـــي الخط، في حين تحرج العلماء عن إدخال باقي التعديلات علـــي الرسم المصحفي، مثل: رسم أو رمز السكون في المصاحف بقي كما هو رأس خاء اختصار خفيف، وبدون نقطة هكذا [حـــ] في حين تحول ذياك إلي دائرة في الهجاء الحديث.

ومثل رأس الصاد علي ألف الوصل لقد بقيت في رسم المصاحف في حين حذفت من علي الألف في الكتابة الحديثة.

آخر الأمثلة هنا أن الكتابة الحديثة أدخلت عليها علامات الترقيم الحديث: (الفصلة – النقطة – علامات الاستفهام والتعجب، ... الخ) لكن عطلت الكتابة المصحفية عما سبق.

ولا نمانع مطلقاً أن نراعي المصاحف والقراءات والروايات، ففي نهاية التحريم: ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ قرئت كلمة (كتبه) بالجمع، كما في مصحف حفص، في حين قرئت بروايتي ورش وقالون بالإفراد، أي: (وكتابه) بألف المد، إلا أنها كتبت بنفس الرسم (كتبه) بزيادة شرطه علي التاء رمز الألف المد، فما ضر لو انكتبت (وكتابه).

والآن ؟ الآن حان الانتقال من موضوع الرسم والكتابة إلي متابعة باقي الموضوعات والزوايا اللغوية التي تطرق إليها التفسير الشعراوي العظيم.

وإن كان صاحبه لَمُصرّ علي تسميته بالخواطر، خواطر حول القرآن الكريم، هبات صفائية تفيض فيها خواطره التي يستنكف أن يسميها – من باب التواضع – فقط تفسيراً للقرآن الكريم،

وهي تفسير في تفسير في تفسير، تميز لأول مره عن التفاسير المكتوبة المسطورة المطبوعة بأنه تفسير منطوق مسموع، بل مسجل أمام جمهور من الناس ينفعل به ويتفاعل معه ومع صاحبه الشعراوي، كل هذا بالصوت وبالصورة.

ويستمر معضداً آراءه بالبراهين والحجج:

إن المؤمنين والكافرين لم يطَّرقوا إلي كتابة (الم) بدء البقرة وبدء الإنشراح (الشرح) والفيل، ذاك أن قضية الرسم لم تظهر إلا بعد كتابة المصاحف العثمانية، كان كل صحابي يكتب في حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ لنفسه مصحفه أو كتابه، ولم تظهر تيك المشكلة إلا بعد كتابة المصحف الإمام في عهد عثمان الذي قال عن ذياك المصحف أو بالأحرى كتابة هذا المصحف بأن فيها لحناً سوف تتيمه العرب بألسنتها.

هذا عن المؤمنين، فأما الكافرون فإن أحدهم لم يثر قضية كتابة الحروف المقطعة، بل يقولون لأتباعهم:

﴿ لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾[1]

أي شوشوا عليه وشوشروا عليه، والغوا فيه.

---

١) سورة فصلت، آية ٢٦.

مفهوم القرآن ووظيفته عند الشيخ: فالقرآن لأنه يقرأ وكتاب لأنه يكتب، فحد القرآن أو مفهومه، هو: أن تقرأه من الفاتحة إلي الناس، هذا هو القرآن، ولكن العلماء اختصروا هذا إلي: كلام منزل علي محمد ﴿ﷺ﴾ بقصد التحدي والإعجاز لبيان منهج الله، القرآن كأي كتاب سماوي من الله، صحف إبراهيم وموسي والتوراة والإنجيل ... كلٌ من الله، لكن كل هذى جاء بالمنهج فقط، لكن القرآن جاء من أجل المنهج ومن أجل الإعجاز الدال علي صدق محمد ﴿ﷺ﴾، إلا أن الكتب الأخرى كانت من أجل المنهج فقط، أما المعجزات لمن نزلت عليهم آيات الله وكتبه حصلت في زمانهم، لأن المناهج التي جاءت في الكتب السابقة قد جاء بها الخالق بنية التغيير، لكن المنهج الذي جاء به القرآن نزل علي الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ بنية الثبات وعدم التغيير، فلابد أن يثبت ويستقر، وأن المعجزة ثابتة ومستقرة ومتجددة، فكل من آمن بمحمد ﴿ﷺ﴾ حين يقرأ القرآن فسيرى أنه المعجزة المستمرة الباقية علي مدى الدهر، لأن معجزات الأنبياء حدثت في زمانهم فلا تتكرر، ولم تتكرر، في حين بقي القرآن معجزة متجددة إلي أن تقوم الساعة.

ومن ثم تميزت معجزة محمد ﴿ﷺ﴾ بأنهـا عـين المـنهج، والمنهج عين المعجزة، هذى المعجزة المسـتمرة علـي عكـس معجزات السابقين من الأنبياء التي كانت – كعود الثقاب – تشعل مرة واحدة، لقد كانت علي قدر أزمانها التي جاءت فيها، وانتهت فمن صدقها صدقها ومن كذبها كذبها، في أي زمن نسـتطيع أن نقول محمد رسول وهذى معجزته، حيث عطاء القرآن متجـدد مستمر إلي يوم الدين.

ولو ظهر إعجاز القرآن كله في قرن أو جيل واحد ثـم جـاء جيل آخر أيبقي له شيء من إعجاز، إذن لابد أن يستمر إعجـاز القرآن إلي يوم الدين بوصفه حجة علي صدق الرسول الأعظم، ولذا قال القرآن: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾[1] أي الآيات الكونية ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي القرآن الحق.

إذن آيات الكون ستأتي موافقـة لحقـائق القـرآن، ومعنـي ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ توحي لنا أن من يعطينا آيات الكون وأسراره ربما لا يكونـون مسلمين، فمعني حتى يتبين لهم أنه الحق، أي أن القـرآن حـق،

---

١) سورة فصلت، آية ٥٣، ولم ترد كلمة (الآفاق) في القرآن إلا في هذا الموضع.

فكانوا لا يؤمنون بأن القرآن حق، ثم تبين لهم بالأدلـــة أن هـــذا القرآن حق علي المؤمنين الذين يؤمنون أن القرآن حق وحق.

فالمعجزات التي يتحدى بها القرآن الناس، العرب أولاً، فهذى شهادة للعرب في البلاغة والفصاحة والبيان، ولذا تحداهم القرآن في هذا.

أقوال محمد قبل البعثة: ثم يستمر الشيخ في حجاجـــه البليـــغ فيسّاءل عن موقع محمد من فنون القول قبل بعثه ؟ يجيب: عهد عليه كلام عادي عادي، ليس كالبلغاء، قس بن ساعدة، أو أكـــثم بن صيفي، ولا علاقة له بهذا قط، ومع هذا قال ما يعجز عنـــه المشهورون في البيان وفنون القول، وقد أوضح الكتاب الكـــريم هذى القضية في قوله تعالي: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَـــالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُـــونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ **<u>لست أنا القائل حتـــى أبدلـــه</u>** ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَـــذَابَ يَـــوْمٍ عَظِيمٍ(١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْـــتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَـــرَى عَلَـــى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ(١٧)﴾[١].

---

١) سورة يونس، آية ١٥-١٧.

عشت فيكم أربعين سنة فهل سمعتم مني شيئاً كهذا، ثم مَنْ مِنَ البشر يرفض ما ينسب إليه أن يسرق الكمال لنفسه من الآخرين، فما بال محمد يرفض أن ينسب إليه كلام الوحي وأقواله.

ثم وبرغم هذا ومع هذا يأتي الرسول بكـــلام يقســـمه أثلاثـــاً فيقول:

- كلام، يقول إنه: قرآن.
- وكلام ثان، يقول: إنه حديث قدسي.
- وكلام ثالث: يقول إنه: حديث نبوي.

هاتوا لي عبقرياً منذ آدم إلي الآن يكون لديه ثلاثة أســـاليب، لكل أسلوب طابع مميز لا يشتبه بغيره، فكيف اسطاع الرســـول التمييز بين هذي الثلاثة.

وهذا دليل أن هذا (كله من عند الله، لا من عندياته)، وأنها – الثلاثة – متميزة، ولهذا اختلط علي الكفار الأمـــر واضـــطربوا وتاهوا، فتارة يقولون هو ساحر، فإن كان ساحراً يسحر النـــاس؛ فلماذا لم يسحركم أنتم لتؤمنوا به كما سحر غيركم، وهـــذا مـــا يشير إلي كذبكم حين اتهمتوه بالسحر.

ثم من باب التوهان أيضاً والاضطراب ادعوا أنه مجنون، فما هو الجنون ؟ إنه العمل علي غير رتابة وعلي غير نظام، فهل عمل محمد دون نظام ورتابة.

بل إنه علي خلق علي نظام وخط مستمر منتظم، ويتم بشكل آلي، وضرب مثالاً علي هذا، بل أكثر من مثال:

- فالصبي حين يذهب إلي الخياط يتعلم منه، فإنه يجربه أولاً في لضم الخيط وفي قطعة قماش يجرب فيها، في البداية يتغير الصبي ويضطرب، وبمرور الوقت يصبح ماهراً وآلياً ذياك العمل.

- من يتعلم قيادة السيارة يتغير ويضطرب أولاً، ثم يجيد القيادة حتى لو غفا أو غفل قليلاً، ففي القرآن:

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[1] علي أي شيء تقسم - يا ربي - ما جواب القسم ؟ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

إن رب العزة يقسم بأن لمحمد لأجراً ممنون، وإنه لعلي خلق عظيم، لعلي خط مستقيم منتظم، لا يشية فيه، فقبل البعثة كان يسمي بالصادق الأمين.

---

١) مفتتح سورة القلم.

وبرغم عدم إيمانهم واختلافهم مع الرسول إلا أنهم لم يجدوا أحداً يأمنوه علي أموالهم وودائعهم إلا محمد بن عبدالله.

بل بلغ من حمقهم: أنه ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾(١) يا محمد: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كان المنطق أن يقولوا: لو كان هذا هو الحق ... لا تبعناك، أو لا تبعنا هذا الحق، ولو كان من عند محمد، يفسر هذا قول القرآن:

﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(٢) ؟!

إن الكفار المعاندين لمحمد لا يعترضون علي صدق القرآن ووثاقته، إنما هم معترضون معاندون لشخص محمد بن عبدالله أن جاء القرآن فنزل علي ابن عبدالله القرشي الهاشمي.

تعريف الوحي: هو الإعلام بخفاء، فربنا يوحي للملائكة، والنحل ولغير الأنبياء – أم موسي مثلاً، والشياطين يوحي

---

١) سورة الأنفال، آية ٣١.
٢) سورة الزخرف، آية ٣١.

بعضهم إلي بعض زخرف غروراً، هذا المعني العام اللغوي، لكن المعني الاصطلاحي هو وحي من الله لرسوله، والله يوحي بعدة طرق، هي:

- إلا وحيا.
- أو من وراء حجاب.
- أو يرسل رسولاً.

فكيف يعرف الوحي من الله عن الخواطر التي ترد علي البشر ؟ يعرف الوحي بالاستسلام التام للوحي، كما حدث لأم موسي التي أوحي الله إليها إذا خافت علي ابنها أن تلقيه في النيل، فإن فعلت كان علي اليم أن يلقيه بالساحل طبقاً لأوامر عليا من الله، قال تعالي: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ....﴾.(١)

كل أعمال التكليف صدرت وحياً أو من وراء حجاب أو بإرسال رسول لكن القرآن خاصة جاء مع رسول هو جبرائيل،

---

١) سورة طه، آية ٣٧-٣٩.

هذه خاصية للقرآن خاصة، وكان هذا الملك لا يأتي سراً وخلسه، بل مع جلبة وجلجلة وجرساً لا يخفي حتى علي الصحابة المصاحبين لمحمد ﴿ﷺ﴾.

وعندما كان يُسرّى عن رسول الله بخبر صحبه عما نزل عليه وأين يوضع في كتاب الله، وبعد تسجيل ما نزل، يقرأ الرسول هذا الوحي مرة أخرى في الصلاة، والنص في كليهما ما أملاه محمد وما قرئ في الصلاة – هو هوه، فهل يستطيع أي مملى إذا أملى من كلام نصف الساعة، هل هو بمسْطيع أن يكرر ما أملاه دون تحريف أو تغيير، اللهم لا.

انتهت مقدمة التفسير ...

بعدها تأتي الحلقة الثانية: من ذياك التقديم ..

الحلقة الأولي من التفسير

في هذى الحلقة الثانية تناول الشيخ عدة قضايا حول القــرآن، وكيف نزل علي قلب محمد (ﷺ)، ثم بشرية الرســول (ﷺ)، وما نسب إليه من خطأ – أو من زعم – بأخطــاء، ومــا هــو تعريف الخطأ، وهذا تفصيل ما أُجمل: الوحي القرآني والحديث: لقد جاء قرآن ربي إلي محمد (ﷺ) عن طريق جبرائيل – عليه السلام – ذلك القرآن لا يحمل للمسلمين المنهج فقط، بل المــنهج مع الإعجاز، وألا يكون للبشر فيه مجال، أما الأحاديــث التــي رواها سيد الخلق (ﷺ)، فقد كانت أيضاً وحياً عن الله، إلا أنــه وحي بطريق النفث في الروح.

ويشير الشيخ أن بعض المشككين حاول اتهام الرسول (ﷺ) بالخطأ، إنه قد يخطئ، ويرى الشيخ أن هذا جزاف في القــول، فما معني الصواب، وما معني الخطأ ؟ أن توجد قاعدة مسبقة، ثم يخالفها المخطئ؛ فيأتي من شرح القاعدة ليصوبها، نعلم الناشــئ أن الفاعل مرفوع فيخطئ المتعلم فتصوب له – أيهــا المعلــم – ذياك الخطأ، لأنه خالف القاعدة الصوابية، أو قاعــدة الصــواب التي تعلمها.

أما إذا لم تك له قاعدة صوابية فلا يقال: إنه وقع في الخطــأ، ولكن الأحكام التي أعطاها الخالق لرسوله (ﷺ) لم تــك عــن قاعدة صوابية من الله، لكنها أمور لم ينزل فيها حكم مسبق مــن الله، بل اجتهد الرسول (ﷺ) من نفسه ببشريته المبنيــة علــي العصمة والفطنة والأمانة.

ثم من يستطيع أن يقول إن حكم البشر مساوٍ لحكم الله في أية قضية، فإن عدل الله الحكم لمحمد فلا يقال إن الله صــوب لــه الخطأ، إنما هداه لما هو اشد صوابية مــن رأي محمــد (ﷺ)، ولذا كان القرآن دقيقاً في صياغته، كيف ؟

قصة زيد: كان لمحمد عبد اسمه زيد، أسر في الحرب وبيــع في مكة اشترته السيدة خديجة وأهدته لمحمد، عرف أبوه مكانه، جاء إليه يأخذه لحضن أبيه، لكن الإبن عندما خبره اختار حضن الرسول محمد (ﷺ) علي حضن أبيه قائلاً: (ما كنــت أختــار علي رسول الله أحداً) ومن كرم الرسول (ﷺ) تبناه، وســماه زيد بن محمد.

لكن الله أراد أن يبطل عادة التبني التي كانت عند العرب، أمر الله:﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ فتغير الاسم إلي زيد بن حارثــة، بــدل

زيد بن محمد، انظروا إلي دقة التعبير القرآني وإنصاف لسيد العرب والعجم، حيث قال الله سبحانه وتعالي: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾.[1]

هو أقسط أفضل عند الله، لم يقل ذلك قسط – أي عدل – لكن قال أقسط، كأنه لم ينسب إلي محمد (ﷺ) جوراً أو ظلماً.

لكن من ظلم في هذا الأمر ؟ إنه زيد الذي كان زيد بن محمد فأصبح زيد بن حارثة، فعوضه الله بذكر اسمه في القرآن، فكان الصحابي الوحيد الوحيد الذي ذكر اسمه في كتاب ربي: ﴿ .. فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ...﴾[2].

ثم هل انطلق محمد في رأيه عن هوى مفروض ؟ كلا، وإنما عن رأي بشري قابله حكم إلهي.

لقد كان عتب الله علي رسوله عتب محبه وإشفاق، كما تقول لابن لك يرهق نفسه في المذاكرة فتأمره بالكف عن السهر والمذاكرة، إنه عتب له، فإن أمر الرجل ابنه المهمل بالجد في المذاكرة، فهذا عتب عليه، لا له.

---

١) سورة الأحزاب، آية ٥.
٢) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

ابن أم مكتوم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝﴾[1] لقد اختار محمد الأصعب والأكثر صعوبة، لقد اختار أن يتكلم إلي المعاندين المناوئين من صناديد قريش، وهذا أمر شديد الصعوبة وأعرض عن ذياك المؤمن الجاهز المستعد لسماع الحق من سيد الخلق، ولذا كان عتب إشفاق من رب الحق إلي سيد الخلق، وهكذا ..

وكان مقتضى منطق الخلق أن يكتم الرسول ما عورض فيه وعوتب، ولكن الأمانة دفعته إلي مصارحة أصحابه بما قيل له، وخاصة أن الحكم لم يتغير.

وأنا أقول – يا سيدي الشيخ – لقد عبس محمد في وجه أعمى لم ير شيئاً، فكأن جريمة أو شيئاً من جريمة لم يقع لأن الرجل أعمى لم ير عبوساً ولا تولياً.

أسرى بدر: حين أخذ منهم الفداء وخلي سبيلهم فقال الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ..﴾.[2]

فهل تغير الحكم من قبول الفداء إلي القتل ؟ وبرغم ما كان لرسول الله أن يكتم شيئاً مما نزل.

١) سورة عبس، آية ١-٢.
٢) سورة الأنفال، آية ٦٧.

في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ ... ﴾.(١)

هذا عتب محبة وإشفاق، كأن سيدنا رسول الله ألزم نفسه بما لا يلزم، فكلف نفسه فوق المطلوب منه.

وفي نهاية هذا القصص أقول لسيدي الشيخ لعل الله أراد لنا – نحن البشر – تعليماً وإرشاداً حيث إن من تأمَّروا على الناس مهما قل عددهم وصغر شأنهم كثيراً ما يأنفون أن يناقشوا أو يراجعوا في شيء، وكذا عامة الناس وضعفاؤهم، جاء العتب علي سيد الخلق في قرآن ربي، مع الاحترام الشديد والتوقير لإمامنا الشعراوي في كل ما جاء بصدد هذا القصص، وقد ذكر الشيخ أو ذكرَّ بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾.(٢)

وفي علم اللغة السياق مهم في بيان معني الكلام، ومن هذا السياق العلاقة بين المتكلم وبين المخاطب ما كان بين عينيه بن حصن – الذي استقل نصيبه من الغنائم، فقال المصطفي لأخيه

١) سورة التحريم، آية ١.
٢) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٥-٤٦.

وابن عمه، ابن أبي طالب: (قم يا علي – فاقطع لسانه، وقبلها قال الرسول – في رواية أخرى: أقطعوا عني لسانه.

وعندها قام عمر بن الخطاب إلي شفرة كانت في وسطه ليسلها فيقطع بها لسانه، فقال النبي لأمير المؤمنين – عليه السلام: قم أنت فاقطع لسانه.

وهنالك ارتاع الرجل قائلاً: أو كما قال (أو قاطع لساني، يا أبا الحسن: قال: نعم، إني لممضي فيك ما أمر).

فأخذه أبو الحسن إلي إبل الصدقة، فقال له: خذ ما تشا، فقطع لسانه.

إن السياق هنا وفيه العلاقة – بين الرسول وبين هذا الرجل وكان من المؤلفة قلوبهم – قد أدت معني قطع اللسان الذي فهم قصد ابن عمه، بأن قطع اللسان معناه هنالك إرضاؤه وقطع لسان اللوم والتذمر لدى ذياك الرجل، وقد فهم ابن أبي طالب هذا لأنه عاش طفولته في كنف الرسول ورعايته، فكان يفهم عنه بشكل أسرع وأيسر، حيث إن مرحلة الطفولة ترسخ في أذهان الرجال، إذ نجد الطفل ذا ذاكرة قوية لماحاً وذا تركيز معمق، وكذا كان أمير المؤمنين يفهم إشارة الإشارة من ابن عمه بحكم طفولته معه، وهذا ما ذكره المستشار عبدالحليم الحليم الجندي

في كتابه عن الإمام جعفر، حيث ذكر هذى الحكاية بطريقته في الرواية والسرد، ذياك الذي قرأت فيه هذى الحكاية فـــي طبعــة المجلس الأهلي للشئون الإسلامية في القاهرة، عام ١٩٧٧م.

ونعود مرة أخرى لشيخنا الشعراوي الذي يلخص في عتــب الخالق لسيد المخلوقين، فيرى:

- نزل إلينا القرآن، كما قاله الله.

- متشابهات القرآن جاءت لنفي الرتابة والنمطية عن القرآن، فكل شيء عنده بمقدار ومذاق.

ثم عاد الشيخ إلي قصة الكتابة، فيخطئ من يقول بأن الصحابة - رضي الله عنهم - أخطأوا في الكتابة فأرادوا أن يكتبوا القرآن بالرسم الإملائي، وكتب مصحف بهذا، ولكن اعتُرض عليه، ثــم عرض الأمر علي لجنة كان الشيخ عضــوا فيهــا، فــاعترض، وألغي المشروع، ولكن يا شيخنا:

- قال أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين: إن الصحابة كتبوا القرآن بالكتابة التي كانت سائدة علي أيامهم.

- وأنا أقول يا سيدي - بأننا نعيد النظر فــي رســم بعــض الكلمات ليس إلا، كما سبق شرحنا.

والآن يدخل الشيخ إلي موضوع آخر، إنه:

إعجاز القرآن: لاشك أن إعجاز القرآن حقيقة واقعة رائعة، ولكن حذار من مقارنة حقائق القرآن بنظرية علمية، لكن قارن الحقائق العلمية بحقائق الكتاب الكريم، فالمعادلة إذن صحيحة.

ثم يدخل في شرح الإسناد مفرقاً بين الظن والشك والجزم والجهل والعلم، كيف ؟ يشرح ما سبق ويفصله: كل لفظ نستخدمه له معني إلا أنه معني مستقل مفرد، مثلاً (سماء) ما علانا، لكن لم نقل ما لونها، إذن المعني مفرد، ليس في جملة، ومثل: (الأرض) التي نحن عليها، إذن فالألفاظ لها معني في ذاتها، هذى الكلمة لو دخلت في جملة فهي إسناد إذن: (محمد كريم) = إسناد، أسندنا إليه الكرم.

هذا الإسناد مجزوم به، أم غير مجزوم ؟ مرة يجزم به، ومرة لا يجزم به، فإن كان غير مجزوم به؛ فإن كان النفي والإثبات علي قدر بعض، يسمى بالشك، فإن ترجح واحد منهما فهو ظن، أو غالب الظن، فالنسب التي لا يجزم بها ثلاث:

- متساوية = شك.
- راجحة = ظن.
- مرجوحة = وهم.

فإن كانت النسبة مجزوماً بها؛ فإن جزمت بها؛ فـإذا كانـت موافقة للواقع، فهو علم، وإن جزمت وهي ليست موافقة للواقـع فهو جهل، وإن كانت موافقة للواقع ولكنك لا تسـتطيع التـدليل عليها فهو التقليد، كما يقلد الصبي أباه أو محفظـه فـي قـراءة القرآن، لكنه لا يملك الدليل.

فهل يصطدم القرآن مع العلم ؟ كلا، إنه يصطدم مع الظـن، ومع الشك ومع الوهم، ومع الجهل ومع التقليد، لكنه لا يصـطدم ألبته مع العلم.

فالحقائق الكونية لا تصّادم مع الحقائق القرآنية وضرب أمثلة موضحة لما سبق:

١- ويعلم ما في الأرحام: عندما تمكن الطب والأطباء من تحديد نوع المولود، هل الجنين في بطن أن سيكون ذكراً أو أنثى؟ قال المرجفون في الدين، عرفنا ما في الأرحام من أنثـى أو ذكر، لذا فإن علم الله ما في الأرحام قد أصبح معلوماً لنا – نحن البشر – ويرد الشيخ بأن ما في الأرحام لـيس كـون المولود ذكراً أو أنثى فقط في وقت معين ومرحلـة معينـة، لكن هل عرفنا أن المولود سيكون ذكياً أو غبياً، طـويلاً أو قصيراً، سعيداً أو شقياً، غنياً أو فقيراً الخ الـخ، كـم مـن

المعلومات لا تنتهي إن بدأت، فمعني ما في الأرض أوسع بكثير بكثير من كون المولود من الإناث أو الذكران.

٢- السماوات السبع: أول العصر الحديث كانت فتنة وقع فيها كبار العلماء، عندما اكتشفت الكواكب السيارة السبعة قال هؤلاء الكبار هذى هي السماوات السبع التي عنها تحدث القرآن، ولكن الاكتشافات العلمية تواترت فزاد العدد عن سبعة ؟! وتزايدت وتزايدت لكن في نطاق السماء الدنيا، أو الأولي علي رغم ضخامتها، وجاء الشيخ بمعلومات مهمة وأرقام وإحصائيات ضخمة، حتى قال: إن القمر ضاحية من ضواحي الأرض.

كل هذا كان جرياً وراء الظن والنظريات التي لم تثبت، لكن إن قارنت حقائق القرآن بحقائق الكون والعلم لا تجد من قرآنك تعارضاً مع الحقيقة الكونية، مثال آخر:

٣- عندما صعد الإنسان إلي الفضاء: قال القائلون قول الله تعالي: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ ٣٣﴾.(١)

---

١) سورة الرحمن، آية ٣٣.

أي أن السلطان هنا سلطان العلم، يرد الشيخ: أين العلم حين عرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ إن هذى الآية في سورة الرحمن هي أقوى دليل علي عملية المعراج، لأن السلطان هنا ليس سلطان العلم ﴿بِسُلۡطَٰنٖ﴾ = بسلطاني أنا، أي الخالق، وليس بسلطان علم المخلوقين.

وقد استدل الشيخ بمقارنة حقائق القرآن بحقائق العلم في الكون:

١- عندما كنا نقرأ ونحن طلاب أن الأرض كروية كنا نجتهد في سرد الأدلة، لكنا الآن لم نعد بحاجة إلي شيء من هذا، لماذا؟ لقد صورت أرضنا عن بعد، ورأينا صورها مكورة، وليس بعد رؤية العين عيب، أو عين.

٢- عرفنا أن العلاف الجوي جزء من الأرض يسير معها، ليس عنها ينفصل، فإذا استخدم القرآن حرف الجر (في) بدل (علي) عند السير علي الأرض، كما في: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(١).

عرفنا وتوكدنا أن التعبير دقيق مع حقيقة أن الغلاف الجوي جزء لا يتجزأ من أرضنا، ومن ثم كان التعبير (تمشي في)

---

١) سورة الأنعام، آية ١١.

وليس (تمشي علي) إذن توازن الحقيقتـــان وتطابقتـــا، الحقيقـــة القرآنية والكونية (العلمية).

٣- الجبال ليست جامدة: يقول تعالي: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[١]، والجبال تمر مر السحاب، لأن حركة السحاب ليست ذاتية، وإنما بسبب الرياح، فكذا الجبال حركتها ليست ذاتية، إنما تابعة لحركة الأرض الموكدة، صنع الله – في الدنيا – الذي أتقن كل شي.

---

١) سورة النمل، آية ٨٨.

الحلقة الثانية

بدأ بتخليص ما سبق في الحلقتين الماضيتين، مذكراً بأنه بمرور الزمن يتراجع تطبيق المنهج لدى البشر، لكن في حفظ المنهج (القرآن) يجتهد الخلق مؤمنين به وغير مؤمنين في حفظ ذلك المنهج، هذا الحفظ الذي به تعهد الخالق للمخلوقين:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.(١)

وسوف نلمح بإيجاز - حسب تيسير الخالق - الإشارة إلى أبرز ما جاء في تيك الحلقة:

في القرآن الكريم يتبجح إبليس اللعين فيقول لربنا: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.(٢)

قال الشيخ: إن الجهات = ٦، وليس = ٤ (أمام - خلف - يمين - شمال) بقي إذن = فوق + تحت، لماذا؟ لأن كل الإفساد

١) سورة الحجر، آية ٩.
٢) سورة الأعراف، آية ١٦-١٧.

يأتي من ادعاء التقدمية = أمام، أو ما يسمي بالرجعية = خلف، ثم اليمينية (اليمين) واليساري = اليسار، أو الشمال.

بقي إذن: (الفوقية + التحتية) لا يأتي من أيهما شيطان بل الفوقية إلي الله، والتحتية عبادة البشر لله، وهذى العبودية والانقياد إلي العلوية تطرد عنا الشيطان وتبعده.

ولذا جاءت رسالة الخاتم إلي العرب الأميين، يعيشون علي فطرة الأم، والمرسل الخاتم نفسه أمي، لا وصم بيسارية أو بيمينية، أو تقدمية أو رجعية، ولكن عبودية تحتية إلي القوة الفوقية.

معصية الشيطان ومعصية آدم وبنيه: معصية الشيطان معصية ترد الأمر علي الآمر، تمرد في تمرد، أما معصية آدم – وكذا بنوه – فهي اعتراف بالمنهج والآمر، لكن العصيان حصل وحدث بسبب ضعف بشري وقصور في تنفيذ الأوامر، وهكذا كان آدم، لقد تلقي من ربه كلمات التوبة، فتاب.

هناك فرق بين معصية جاءت من قبل هوى في النفس وضعف في البشر، ومعصية أخرى جاءت من وسوسة الشيطان ونفثه ولبسه، حتى لا تضع الشيطان شماعة في كل أخطائنا، فإن وجد الإنسان نفسه مصراً علي معصية لا يتلحلح عنها، فهي من النفس الأمارة التي ترغب في معصية نبيها تجلب لها لذة أو

منفعة، لكن إبليس يبغي له المعصية - أية معصية - فلا فرق لديه بين معصية وأخرى، المهم العصيان، المهم عنده أن يخلخل منهج الله في قلوب البشر.

الفرق بين الفاعل والقابل: القرآن واحد، وهو فاعل، ولكن القابل مختلف، انظر الآية: ﴿.. قُلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.(١)

وفي مكان آخر يقول القرآن: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ من مشركي قريش ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من اليهود ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾(٢).

فالفاعل - آنفاً - أو سابقاً واحد فقط، وهو القرآن الكريم، ولكن هذا القرآن المبارك يختلف استقباله من قابل إلى آخر، فالمشركون استقبلوه وتفاعلوا معه بشكل، والمؤمنون بشكل آخر، كما فصل الفاعل نفسه فيما سبق من آيات، وفي غيرها.

---

١) سورة فصلت، آية ٤٤.
٢) سورة محمد، آية ١٦-١٧.

الحلقة الثالثة

ختم الشيخ في الحلقة السابقة باقتباس عن الإمام جعفـــر بـــن محمد، الصادق – استشهد عام ١٤٨هـــ – ثم أكملها بدء الحلقة الرابعة هذي بإعادة ما اقتبسه نهاية الحلقة السابقة، كما يلي:

سيدنا جعفر الصادق – رضي الله عنه – قال: (عجبت لمـــن خاف، ولم يفزع إلي قول الله سبحانه:

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾

يوضح الشيخ: الشاهد في هذا قوله فيما بعـــد: ســـمعت الله يعقبها بقول:

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ...﴾(١)

مع أنه لم يك يسمع من الله بشكل مباشر، بل كان يسمع مـــن قارئ أو في مصحف يقرؤها بنفسه، لكن انظروا إلي الصفاء في استقبال كلام ربه بأنه يتكلم إليه هوه.

---

١) سورة آل عمران، آية ١٧٤.

ويستمر الشيخ مع الإمام الصادق الذي كان يقول: عجبت لمن اغتم، ثم يقطع الشيخ كلام الإمام بالتفرقة بين الخوف والغم:

- الخوف: قلق النفس من شيء تعرف مصدره.

- الغم: خوف النفس من شيء لا تعرف مصدره.

يشير الشعراوي إلي قول الإمام جعفر: عجبت لمن اغتم ولم يفزع إلي قول الله تعالي:

﴿.. لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

فإني سمعت الله يعقبها بقول:

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١)

وعجبت لمن مُكر به، ولم يفزع إلي قول الله سبحانه:

﴿.. وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾

فإني سمعت الله يعقبها بقول:

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ...﴾(٢)

---

١) سورة الأنبياء، آية ٨٨، وهذه ليست لذي النون فقط، بل لكل من دعابها.
٢) سورة غافر، آية ٤٤-٤٥.

وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها، كيف لا يفزع إلي قول الله:

﴿ .. مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ...﴾

فإني سمعت الله يعبها يقول:

﴿... إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ ...﴾(١)

أربعة أشياء يمكن أن تنغص علي الناس حياتهم، ولذا كانت الاستعادة قبيل قراءة القرآن إعداد للنفس وتهيئة لها، وذلك بصفاء في النفس لا تشوبه شائبة أو نزغ من الشيطان اللعين الرجيم، ثم انتقل الشيخ إلي:

البسملة: كما أن القرآن بدأ بالبسملة، فإنه لا يبدأ إلا بها أيضاً استدعاء للحوار الأول بين جبرائيل وبين سيد الخلق في غار حراء:

: اقرأ

محمد: ما نا بقارئ.

أي: لا اسطيع القراءة، ولا أعرفها.

---

١) سورة الكهف، آية ٣٩-٤٠.

: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾.[1]

فلماذا كان ذياك الحوار بين جبرائيل وبين سيد الخلق، وهو أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ؟ حتى يُتيقن أن هذا القرآن من عند الله وليس من عند محمد، كما روج بعض المروجين ظلماً وافتراء علي الله ورسوله.

يفسر الشيخ: إن الله أكرمنا، فهو كريم كريم، تكرم علينا بأن جعلنا نتعلم القراءة من غيرنا، لكنه كان الأكرم مع رسوله؛ حيث إنه من عليه بالقراءة من غير تعليم من البشر، لكن ذيالك التعليم كان من رب البشر، ولذا قال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ الذي أقرأك بفضله وباسمه، ففرق بين كريم وبين أكرم، أي شديد الكرم، فرق بين الصفة المشبهة وبين اسم التفضيل.

مفهوم بسم الله: إن هذا يعني، أي أن هذا القول معناه شيئان:

الأول: أن الله ذلل هذى المخلوقات والحيوان، ولولا تذليله لك لما أطاعتك تيك المخلوقات، ففي الكون أسباب ونواميس، ولكن

---

١) سورة العلق، آية ١-٥.

خالق الكون والأسباب والنواميس يمكن أن يبطل كـل هاتيـك الأشياء، وضرب الشيخ عديداً من الأمثلة، منها:

نحن نستطيع أن نزلل أضخم الحيوان، ولو كان المذلل طفـلاً صغيراً فإنك يمكن أن تجده يذلل ويخضع الجمل الكبير أو الفيل، ليس بقدرته وتفوقه، ولكن بسبب تذليل رب هذى المخاليق، ولذا بأن البسملة هي إقرار من المخاليق، بأن التذليل جاء باسم خالق المخاليق وبإذنه وقدرته واختياره.

ومن ناحية أخرى فإن هذى المخاليق الصغيرة جداً ما اسطاع المخاليق تذليلها، مثل الحية الصغيرة، أو العقرب الأصغر، وكل الحيوان غير المذلل، وكلاهما التذليل، وضـده مـن عنـد رب المخاليق، قال تعالي في سورة يس[١]:

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الثاني: أن الأسباب تزلل للمـؤمن والكـافر علـي السـواء وتخضع، لكن البسملة عند المؤمن إعلان من العبد إلي ربه أنـه ما فعل ما فعل إلا لأن الله أباح ذياك الفعل أو به أمر، ومن هنا كان له من ذاك ثواب وأجر له يوم الدين فقد قال القرآن نفسه:

---

١) سورة يس، آية ٧٢.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِى ٱلۡأَخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[1]

هذا المؤمن الذي يستعين باسم ربه فسيكون له جــزاء فــي الآخرة علي عمله هذا إضافة إلي ما يكون له في الدنيا.

وفي الحديث الشريف: (كل عمل ذي بال لا يبدأ بسم الله فهو أبتر)، فإن البسملة لا تأتي في بداية قراءة القرآن، وإنما كل عمل ذي بال – مُهم يفكر فيه – لا يبدأ باسم فهو ناقص مبتور.

صفات الله وصفات البشر: هي صفات الإنسان في بشــريته، فهناك إنسان:

- عالم وعلام، وعلامة.
- فاهم وفهام وفهامة.
- آكل وأكال وأكالة.

فالكليمات الأولي تعني الإنسان يأكل ويفهم ويعلم، فقط فقــط، فإن زادت الأمور وبولغ فيها وصلنا إلي صيغة المبالغــة، فــإن زيد في المبالغة وبولغ فيها جيء بتاء المبالغــة، وصــلنا إلــي: (علامة – فهامة – أكالة ....) الخ.

---

١) سورة سبأ، آية ١.

والمبالغة قد تكون مركزة في شيء ما، في فـرع مـا، فـي تخصص ما، فهذا رجل علامة في الطب، في اللسـانيات، فـي الفيزياء .... الخ، وقد يكون علامة في تخصصات شتى متعددة، والمثال الذي ضربه الشيخ، فهذا رجل آكل، يأكل، ولكن الآخـر الموسوم بأنه (أكول) في الوجبة الواحدة يأكل كميات في كميات، أو أنه يأكل وجبات عديدة كثيرة علي مدى اليوم والليلة.

هذا عند البشر أما عند بارئ البشـر فـالأمر جـد مختلـف ومفترق، فإذا وصف الخالق بالرحمـة، دون اسـتخدام صـيغ المبالغة، أو مع صيغ المبالغة - أياً كانت - رحمـن أو رحـيم فالأمر واحد، والمعنى واحد ؟ كيف ؟

إذا وصف إنسان بأنه أكول، فهذا لا ينفي أنه آكل أو يمكن أن يكون آكلا، فإذا قال ربنا:

﴿.. وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[1]

﴿ ... وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾[2]

نسبة الظلم لله بصيغة المبالغة لا تعني أن صيغة اسم الفاعـل (ظالم) هي أقل معني من صيغة المبالغة، بمعنـي أن الله لـيس

١) سورة فصلت، آية ٤٦.
٢) سورة ق، آية ٢٩.

بظلام، وإنما يمكن أن يكون ظالماً، فلله المثل الأعلى؛ فمفهوم الصفة الإلهية مختلف عن مفهوم ذات الصفة عند المخاليق.

ويفسر الشيخ بأن الله ليس ظلاماً للعباد، ليس نفياً لظلم أحد من العباد، بل لأن قدرة الله جارية علي الإنسان والجان، وعلي الملائكة، وكل المخلوقات في الدنيا، فلا يناسب إلا استعمال صيغة المبالغة ﴿بِظَلَّـٰمٍ﴾ ليتسع الأمر للناس والمخلوقات إلي أن تقوم الساعة التي علمها عند ربي.

ومما يؤيد ما سبق قول الله تعالي:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ......﴾[1]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2]

فإن قدرة الله تختلف عن قدرة مخاليقه التي تزيد وتنقص، بل في النهاية تنتهي، هي أو صاحبها، ولكن قدرة خالق المخاليق ما تزيد وما تنقص، إنها ثابتة مستقرة، قديمة وأبدية، سواء عبر القرآن بصيغة مبالغة، أو باسم الفاعل، أو بالصفة المشبهة.

---

١) سورة النساء، آية ٤٠.
٢) سورة يونس، آية ٤٤.

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي: إني حرفت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .....)[١].

لقد حرم الله نفسه الظلم علي نفسه، أي ظلمـــة – أي ظلـــم – مهما قل أو صغر، أو قل قدره، وتظـــالموا أي ظلـــم بعضـــكم بعضا، مهما قل، ويرى الشيخ أن الله مرة يكون راحمـــاً ومـــرة يكون رحيماً وثالثة هو رحمن، والفرق يكون فيمن يرحمهم الله، ففي الدنيا تسع رحمته الكافر والمؤمن، وفي الآخرة يـــرحم الله المؤمنين ... الخ فصفات الله واحدة لا تزيد عنـــده ولا تـــنقص، وإنما من تقع عليهم الصفة، فإن كميها تتغير، وتتبـــدل حســـب أحوالهم، وهكذا.

ويشرح الشيخ حديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببســـم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع)[٢].

يفسر الشيخ هذا الحديث بأن العمل أو (الأمر) ذا البـــال، أي الأمر الذي تقبل عليه بفكر، فالبال هو الفكر، لابد أن يبـــدأ وأن يسبق بسم الله، أما ما يأتي بغير فكر، تهجم عليك هجوماً، مثـــل بعض الخواطر، فإن الله لا يكلفك بالبسملة، فهي مغفورة لك هنا، لأنك لم تشغل فكرك مطلقاً بالعمل، أو بالأمر، لماذا ؟

---

١) راجع تكملة الحديث القدسي في: (www.slamweb.net)، وكذا شرح الحديث كله وتحليله.
٢) راجع الحديث برواياته المختلفة: www.slamweb.net

لأن الإنسان في كل شيء له ٣ نسب:

الأولي: نسبة ذهنية.

الثانية: نسبة كلامية.

الثالثة: نسبة خارجية، أو (فعلية) تنفيذية.

فإذا أحسست بالعطش ورغبة في الماء، هذى نسبة ذهنية، فإذا قلت: أريد كوب ماء، فهذى نسبة كلامية، أو مرحلة كلامية، فإن جاء الماء للشرب أو لأشربه، فهذى خارجية فعلية.

ومعني كل أمر ذي بال، أي يمر بالذهن أولاً فلابد قبله من البسملة، فإن جاء نسبة كلامية أو خارجية دون مساس بالذهن فهي غير ذي بال، كما حدث للمصباح شيء مفاجئ، فقلت عفواً: يا ستار، فهذا غير ذي بال ولا إعمال ذهن ولا تفكير.

وهكذا يأمر الله بأن لا تبدأ القرآن إلا ببسم الله، ويعلمنا سيد الخلق أن لا نبدأ أي عمل مهم إلا ببسم الله وإلا كان العمل أبتر لا ثواب له من الله.

الحلقة الرابعة

يبدأ الشيخ – رحمه الله – هذى الحلقة بتلخيص ما سبق شرحه في الحلقات الأولي:

- بيان معني القرآن، وأنه جاء منهجاً وإعجازاً مؤيداً.
- ولأهمية هذا القرآن فقد وثقه الله وحفظه بنفسه ولم يترك هذا الأمر للبشر.
- إننا لا نفسر القرآن، وإنما نحوم بخواطرنا حول القرآن، لعل الله يفيض علينا ببعض الأسرار في كونه.
- إنه لو جاز لأحد تفسير القرآن لكان هذا لرسول الله، ليس لغيره.
- وقد فسر الرسول بما يفهم كل الناس وصولاً إلي ما كلف به الناس في عصر محمد وما بعده، ولا يختلف فيه فرد عن آخر في أي عصر.
- وأما عطاءات الأسرار في كليات القرآن وحقائق الكون فقد ترك الله لها ميلادها في القرآن حتى تجيء مواليدها في الكون.
- الله أمرنا أن نستعيذ به من الشيطان قبيل قراءة القرآن يريد أن يصفي النفس من أية عقبة في الفهم أو ران (مانع) علي

القلب، وهذى مهمة الشيطان المقتدر بما وُهب له أن يحول بين الناس وبين المعطيات في كتابه.

- قلنا بعض الخواطر حول البسملة في أول الفاتحة وأوائل السور الأخر عدا التوبة، وبقي أن نقول باقي الخواطر حول التسمية:

١- في التسمية: ٣ أسماء لله: (الله - الرحمن - الرحيم) فالله علم علي واجد الوجود بكل صفات الكمال فيه، والرحمن تبين مجالاً لأفعال الله وصفاته، والرحيم تبين مجالاً آخر.

وما نقوم به من أفعال لا قدرة للإنسان علي ما يخدمه ويسخر له، ولكن الذي سخره هو الذي أمره أن ينفعل لك ليخدمك، ولذا من الطبيعي أنك حين تقبل علي ما ينفعل لك أن تشكر من سخره لك وجعله ينفعل لك وتتذكر هبة الله لك.

وحين تقبل علي العمل يعطك خبرة، لك ولمن كفر بالمُسخر، ولك تؤكد أن حمد لله يعطك فوق التسخير والإخضاع ثواباً في الآخرة، وربما في الدنيا أيضاً، وكلا النتيجتين بسبب البسملة.

٢- كيف تنقلب الصفة إلي اسم: قد يوجد فلان حليم، تصفه بأنه حليم، لكن لابد من موصوف يسبقه، وتقول فلان غني،

وتقول فلان حكيم، ولكنك حين تطلق الحكمة والغنى - وغيرهما - فلا ينصرف إلا لله.

وإن قلت الرحيم، انصرف هذا لله، وكان كل رحيم وكل رحمة بين البشر فضل وجزء من رحمة الله، فهو ينبوع الرحمة.

كل هذى الصفات في رب الأرباب تختلف عن لفظ (الجلالة الله) التي ما سمي بها غير الله، فالعلم هنا مشخص، أي لا يطلق علي الغير:

- فإذا سميت ابنك محمداً فقد أصبحت هذه اللفظة مشخصة لا تطلق علي غيره.

- وإذا أردت أسرتك أن تكرر المحمد - محمداً - قالت محمد الصغير، محمد الكبير.

- ثم يتميز بالأوصاف الأخرى: محمد القصير أو الطويل ...

لكن اسم الله (الله) علم علي واجب الوجود فقط، اختاره الله لنفسه، ولم يجرؤ واحد من الكفار أن يسمي أحد باسم الله (الله) حتى قبل الإسلام وإلي الآن، مع أن الله تحداهم بقوله:

﴿ .. هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾[1]

---

١) سورة مريم، آية ٦٥.

فإن كل فعل بشري يحتاج إلي القوة والقدرة والحكمة ... الخ تقول باسم القوي القادر الحكيم ... الخ لكن يكفيك أن تقول (الله) الجامع لكل الصفات المطلوبة.

٣- البسملة هي آية من السورة أم من القرآن: اختلف العلماء، والراجح أنها آية من القرآن جاءت لافتتاح (الفاتحة) والفصل بين السور، ولذا صح الإسرار بها بدء أية سورة، لكن البسملة في وسط سورة النمل هي آية من السورة فضلاً أنها مع سورتها جزء من القرآن الكريم.

ومن هنا فلا يصح عدم ذكرها بدء أية سورة خاصة الفاتحة، وإن الشعراوي يوافق علي عدم الجهر بها، لكن قراءتها سراً، ليس جهراً.

٤- قسمة الصلاة: قال تعالي في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي) ويعني بالصلاة فاتحة الكتاب، إذ هي جوهر الصلاة مثل "الحج عرفة" فإن الوقوف بها أهم أركان الحج.

قِسْم لله: هو:

- الحمد لله، رب العالمين.

- الرحمن الرحيم.

- مالك يوم الدين.

هذى لله، وقد بدأها الله بالحمد، علي أساس أن البسملة كانــت ممهدة للعمل الذي تحقق، لذا كان حمد الله علـــي تمـــام العمـــل وإنجازه، أو فضلاً عن إنجازه، ثم:

- إياك نعبد.

- وإياك نستعين.

هاتان بين الله وبين عبده، ففي العبادة هنا عابد، وهنا معبـــود، وفي الاستعانة، مستعين ومستعان به، فالمعبود والمســـتعان هـــو الله، والعابد والمستعين هو المخلوق، عبد الله.

وأخيراً ثلاث للعبد:

- اهدنا الصراط المستقيم.

- صراط الذين أنعمت عليهم.

- غير المغضوب عليهم، ولا الضآلين.

٥- لماذا وصف الله في البسملة: بالرحمن الرحيم آمين؟ حتـــى لا يخجل العاصي في البدء باسم من عصاه، لأنه رحمن رحـــيم بعباده.

٦- إحصاء نعـــم الله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾(١)، ﴿... وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾.(٢)

كلتا الآيتين في جزئها الأول واحـــد، ولكـــن الجـــزء الثـــاني مختلف، ففي الأولي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ هـــي تجليـــات الرحمة من الله، وفي الثانية دلت الخاتمة علي جبروت العاصـــي: ﴿لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ يأخذ نعمة الله ويستخدمها في معصـــية واهـــب النعم، وقد جاء هذا مناسباً لسياق الآية الثانية التي جـــاء قبلهـــا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾(٣).

ولكن لماذا وصف الله نهاية سورة النحل بأنه غفور رجـــيم، يشرح الشيخ بأن عملية الإنعام تقتضى ثلاثة أشياء:

- منعم.

١) سورة النحل، آية ١٨.
٢) سورة إبراهيم، آية ٣٤.
٣) سورة إبراهيم، آية ٢٨، ٢٩، - في سورة إبراهيم، وما بعدها، كل هذا جاء قبل آية: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ.....﴾، آية ٣٤.

- ومنعم عليه.

- ونعمة.

ويلاحـــظ أن القـــرآن فـــي: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ..﴾ أداة الشرط (إن) وليس (إذا) ؟ لأن الأولي تفيد الشك، أي الشـــك فـــي إمكانية الإحصاء أو العد أو الإحاطة بنعم الله.

ومن ناحية أخرى فإن دوام النعم علي البشر والإنسان، برغم أنه ظلوم كفار دليل علي أن المنعم (الله) غفور رحيم بـــرغم عصـــيان الإنسان مع كثرة هذى النعم.

٧- معني الحمد لله: في بداية السورة الفاتحة، كل هـــذى النعـــائم توجب الشكر للمنعم - رب العزة - ولذا كانت حيثيات الشكر كما ذكرت السورة: الرحمن - الرحيم - ملك يوم الدين، ولـــذا إياك نعبد وإياك نستعين.

٨- النعم والتكليف: هذا التكليف هو أيضاً من نعم الله الكبرى علي الإنسان، فلولا التكاليف الإلهية لكانت الحياة فوضى وســـبهللة، وفعل كل إنسان ما يحلو له مهما أضر بغيره، وأفشى الفســـاد في الأرض:

- قال تعالي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾[1] ثم: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[2] لأن المنهج الهادي إلى الرشاد مقدم علي خلق الإنسان وتعليم البيان.

- وقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ.... ﴾.[3]

فإن الإنسان وحده يضيع ويتوه إلا بالمنهج الإلهي والإيمان به، فالتكاليف عين العطاء.

العالم اللامحدود للحمد: تحدث الشيخ - رحمه الله - عن الحمد مفسراً إياه، ولكنه يعود إلي مفهوم الحمد، ليصوره عالماً لا محدوداً، هكذا:

١- الحمد ضرورة ومنطق: فإن كل هذى النعائم والفضل لابد له من منعم ومتفضل، مثلاً: إذا سقط مني - من الشيخ - هذا القلم، فإن القلم حقيقة واقعة بادهة، لمن هذا القلم ؟ هذا هو السؤال، فنقول:

- مثلاً - القلم للشعراوي.

---

١) سورة الرحمن، آية ١-٢.
٢) سورة الرحمن، آية ٣-٤.
٣) سورة العصر، آية ١-٣.

٢- فإذ أتاه إنسان في صحراء، ثم غلبه النوم، وعندما استيقظ وجد مائدة طعام عامرة فاخرة، فإنه لابد حتماً يّساءل: من أين لي هذا كله، وممن ؟ لأوجه إليه الحمد والشكر.

٣- إذن فالحمد غريزة وبداهة للمنعم الذي أنعم دون حول منا، ولا طول ولكن لمن يوجه في هذا الكون ؟ يوجه القرآن الحمد لله، ثم جاء بحيثياته:

- لأنه الله، ولأنه رحمن، ولأنه رحيم، ولأنه مالك يوم الدين، ولأننا سوف نعيده، وبه نستعين، فكل شيء جاءٍ من الله، وبه متعلق.

٤- عطاء الروبية وعطاء الإلوهية: كان من المتوقع أن يقول القرآن:

- الحمد لرب العالمين - لأن عطاء الربوبية نعائم وأفضال في حين إن: (الحمدلله) يشير إلي التكاليف ؟ لكن هذى التكاليف باب واسع من الفضل والنعم، لأن الإنسان بدون منهج يهديه ضال مضل - يكسر الضاد وفتحها - ولذا جاء في سورة العصر: ﴿... إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ....﴾ إذ الإنسان بدون الهداية الإلهية ضائع تائه، فاسد ومفسد.

٥- ولذا كل خبر يصف الإنسان تجده من باب الفساد والخسران، إلا أن يجيء الاستثناء بالإيمان.

- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾(١)؛ ثم تسرد الآيات صفات المؤمنين بالله، المهتدين بمنهجه، بدءاً من الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الدين ... إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾(٢)؛ بدأت هذى الآية بالصلاة والدوام عليها، وانتهت بالصلاة والمحافظة عليها.

- في سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ....﴾(٣)؛ فالإيمان هنا منجاة من أسفل السافلين.

٦- مرة أخرى ما معني الحمد: هل هو الثناء، هل هو الشكر، المدح، أو هو مزيح انفعالي يبدي الإعجاب بجلائل النعم والعجز عن شكرها ؟ والمدح غير الحمد، لأنك قد تمدح

---

١) سورة المعارج، آية ١٩-٢٢.
٢) سورة المؤمنون، آية ٩.
٣) سورة التين، آية ٥-٦.

شيئاً بما لا يد له فيه، كما تقول: (هـذه الجـوهرة قيمـة) الجوهرة لا دخل لها ولا يد في كونها جميلة.

- إنما الحمد لمن له اختيار في الفعل أو عدم الفعـل، هـذى الانفعالات بالحمد تأتي أولاً إلي العقل، ثم تستقر في القلب، ثم تفيض علي الجوارح ومن هذى الجوارح تفيض علـي الكون كله.

- إذن فعملية الحمد لا تكون باللسان فقط، لابد أن تمر علـي العقل ثم القلب، ثم الجوارح، ثم تنفعل مع حركة الكون.

- والقرآن يشرح هذي العمليـة المعقـدة بقولـه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ...﴾[1].

٧- الإنسان يدرك: ثم يجد في نفسه، ثم ينفعل، مثـل: الإنسـان مثلاً - يرى وردة، فرؤيته للوردة إدراك، ثم يعجـب بهـا ويسر، هذا هو الوجدان، ثم عملية النـزوع والفعـل، فـي الذهاب لقطع الوردة أو قطفها.

---

١) سورة الزمر، آية ٢٣.

- هنا يتدخل الشرع، هذى الوردة ليست لـــك، إذن يتـــدخل الشرع عند النزوع، ومن ثم انصرفْ عما لا يحق لك، إلي ما يحق لك.

- إذن مظاهر الشعور أو مراحله: إدراك فوجدان فنـــزوع، والتشريع لا يتدخل إلا عند النزوع إلي الفعل، ولا يتدخل لا في الإدراك، ولا الوجدان.

- في شيء واحد يفصل الوجدان عن النزوع، ومن ثم يحرم من المرحلة الأولي، إنه نظر الرجل إلي المرأة الجميلـــة، النظر إليها إدراك، ثم الوجدان، فالشرع يتـــدخل لأنـــه لا يمكن فصل النزوع عن الوجدان والشعور - كما ســـبق - وثم يرحمنا ربنا بغض النظر عن مرحلة الإدراك.

٨- توهم التناقض: في بعض الآيات، مثل:

- ﴿...... إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ..﴾.(١)

- ﴿..... أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.(٢)

مرة تجد القلوب وجلت، وأخرى تجدها اطمأنت، لأن القلـــب يفاجأ بالذكر فيأتي الوجل، ثم يهدأ القلب ويطمئن بعد ذلك.

---

١) سورة الأنفال، آية ٢.
٢) سورة الرعد، آية ٢٨.

أو أن الأولي تشير إلي العاصي الذي يصاب بالوجل عند ذكر الله، والآية الأخرى تشير إلي الطائع الذي يطمئن قلبه عند ذكـــر الله، فلا تناقض البتة بين الآيتين، ولو كان – القرآن – من عنـــد غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

٩- الله يستحق الحمد لذاته: لماذا ؟ لأنك قد تحمد إنساناً لفضائل فيه، وإن لم تتعد الفضائل إليك، ولا تفيد منها شيا (شيئاً).

ومن ناحية أخرى فقد تمدح آخر تفيض فضائله عليك، فـــالله يحمد لذاته، ثم لأنه رب العالمين، والرب تشعر بالتربيـــة، ولأن فضائل الله تفيض عليك.

والعالمون، أو: (العالمين) هل تعني الإنسان والجان والملائك، لأنه لا يجمع جمع مذكر سالم إلا العاقل، ولكن – يقول الشيخ – خذها بالقياس فإذا كان الله رب الأجناس العاقلة الأرقى فهو مـــن باب أولي رب الأجناس الأخرى الأدنى.

وفي فهم أدق من هذا: ما فائدة العقل ؟ أليس التـــرجيح بـــين البدائل لترى الأَخْير ليؤخذ به؟ إن الكائنات مـــا عـــدا الإنســـان أخذت الأَخْير، وسلمت من كل شيء، فهذى الكائنات والأجنـــاس أعقل من البشر، لأنها حملت الأمانة دون اختيار لها، فخرجـــت إلي باب السلامة.

وهو رب العالمين، تطمين للإنسان بأن هذا العالم المسخر له لن يتمرد علي ذياك الإنسان، لأن الله رب كل ما فـي خـدمتك المسخر لك أيها الإنسان، ولا رب لهم سواي.

وإذا رأي البشر ما يُتصور أنه يخرج عن السيطرة (الفيضـانات الجارفة، الزلازل المدمرة، البراكين الحارقة) الخ، فهذا دليل علـي أنه المسيطر علي كل شيء ولو شاء لحرم الإنسـان مـن هـذى السيطرة، وذياك التسخير، من ألفها إلي يائها، وفي لحيظة واحـدة، ولذا قـال: ﴿... وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[1]

١٠- الحمد لله: مبتدأ وخبره، جملة قصيرة جداً وبسيطة، وفيهـا كل الثناء علي الله، إذا كان كلفنا بحمده والثناء عليه، فكيف يكون ذلك ؟ سيتخلف الناس فمن عنده قوة بيـان يسـتطيع يقول، ومن ليس عنده بيان، كيف بحمد الله؟ إذن لا تكافؤ – هنا – للفرص، وفي أمر مطلوب للجميع، فرحم الله مـن لا يقدر بأن قيد من يقدر أن يحمد بهذى الصـيغة المبسـطة، فالضعيف أمير الركب، وهذى نعمة أخرى من جديد، فالحمد بهذه الصيغة المبسطة نعمه تستحق الحمد من جديد.

١) سورة المؤمنون، آية ٩١.

الحلقة الخامسة

قبيل بدء هذى الحليقة يسرد الشيخ – رحمه الله – ملخصاً للحليقة السابقة نشير إلي أهم ما جاء فيها:

١- معني الحمد: هو انفعال النفس بكل ملكاتها للمنعم بجلائل النعم، ومن رحمة الله علينا أنه وضع صيغة الحمد له ليستوي بذلك القادر علي البيان وغير القادر عليه.

٢- بدء الحمد: بسم الله، وهذا اللفظ هو علم علي خالق الوجود المتصف بكل صفات الكمال التي أدتها الأسماء الحسنى فيما سمح لنا أن نعرفه من أسماء، ولذا كان رسول الله يعلمنا حين يسأل الله بكل اسم سمى الله نفسه به، أنزله في كتابه أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك.

٣- الكلمات في اسم الذات: لا تتناهى؛ فإن رسول الله حين عرض المقام المحمود في الآخرة، والشفاعة العظمى لأمته قال: (فألهمني ربي محامد ... أي من المحامد والكمالات ما لا نعرف).

ونترك ملخص ما قال الشيخ عن الحلقة الماضية إلي القضايا اللغوية التي مسها الرجل وتكلم عنها، وهي في رأينا – ما يلي:

أولاً: كلام الخالق إلي المخاليق: من غير البشر فإن هؤلاء البشر لا يدركون العوالم الأخرى من مخلوقات الله، يقـول الشـيخ: (لا يستطيع الإنسان أن يتفاهم مع هذى العوالم، إنما يستطيع هـذا خالقها، بديل أنه في الخلق الأول قالتا: (أتينا طائعين) نسب لها القـرآن قـولاً: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.[١]

لقد نسب لها قولاً: ﴿قَالَتَآ .. ﴾، وهل يقال لشيء أو يقول شيء إلا إن فهم عن القائل والمقول له، ولكن عقولنا – ربما – لا تتسـع لهذا؛ بدليل أنه حين أخبرنا أنه علّم سليمان منطق الطيـر، وفعلـي سليمان أن يفهم عن النملة وأن الجبال يسبحن مع داود؛ فهذا يعنـي أن هذى المخلوقات – الطير، النمل، الجبال – لها إدراكات مناسبة لها، وهو ما يجعلها تنفعل، ومن ناحية أخرى فإن هذا ترقى / ترقٍ لهذى الجمادات بأن لها عواطف وميولاً مثل الإنسان.

وعندما تكلم الخالق عن قوم فرعون: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝٢٧

---

١) سورة فصلت، آية ١١.

كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾.(١)

وكأن السماوات والأرضيين لهما بكاء ؟! من يقول هذا؟ نعم لها بكاء !! تبكي علي العبد الذي انفعل بالتكاليف انفعالها بتسخير الله لها، فانسجم معها، ولذا قال الإمام علي – رضي الله عنه: "إذا مات المؤمن بكي عليه موضعان موضع في الأرض وموضع في السماء، أما موضعه في الأرض فموضع مصلاه، ومصعد عمله الطيب".

فلا يستطيع أحد إلا بأمر الله أن يتواصل مع المخلوقات الأخرى غير الإنسان، فأما الخالق فإنه يتواصل ويخاطب هذى العوالم وتنفعل مع ربها وباريها.

وهنا تأتي إلماحه عجيبة من الشيخ، حين قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.(٢)

---

١) سورة الدخان، آية ٢٥-٢٩.

٢) سورة يسٓ، آية ٨٢.

يقول له له، كيف يقول له قبل أن يوجد ؟ وقبل أن تأتي (كن) الأمر الإلهي إلي ما يخلق ؟ فإلي من يقول قبل أن يكون؟ هـــذا المأمور موجود عند الله أمام خالقه، إنما يخرج الشيء ويظهـــره للناس.

ولذا قيل: (ما شغل ربك الآن) قال: (أمور يبديها ولا يبتديها).

وأصل الحكاية كما جاء في البحر المحيط لأبي حيـــان: قـــال الحسين بن الفضل[1] حين سأله عبدالله بن طاهر[2] عـــن قولـــه تعالي: ﴿...كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[3]، كيف وقد صـــح أن القلـــم جف بعد أن كتب ما هو كائن وما إلي يوم القيامة، فقال: شـــئون يبديها، ولا يبتديها.

ومعني يبديها يظهرها، لا شـــئون يبتـــديها، أي يقـــدرها، ولا يبتدئ خلقها أي لأن التقدير سابق في عمله.

---

١) الحسين بن الفضل الكوفي ثم النيسابوري، أحد مفسري القرآن في القرن الثالث الهجري، وإمام عصره في معاني القرآن، فضلاً عن ذلك كان لغوياً ومحدثاً، ولد ١٨٠هـ، وعمر طويلاً، توفي سنة ٢٨٣هـ.

٢) كان والياً علي خراسان في عهد المأمون خلفاً لأبيه، توفي عام ٢٣٠هـ عن ٤٧ عاماً، وذلك بمرض الخانوق، أحد أمراض الجهاز التنفسي العلوي والشعب الهوائية، والحمي وصعوبة التنفس، يحتاج إلي الأكسجين، يأتي في البرد والمناطق شديدة البرودة، شيء يشبه هذه الكورونا، ربما كان هو هوه، أو أحد متحورات كورونا، كما أنه يأتي نتيجة العدوى الفيروسية، يشبه الأنفلونزا، وللوقاية من هذا المرض تتبع نفس خطوات الوقاية من نزلات البرد والأنفلونزا، أهمها غسل الأيدي باستمرار وعزل المريض .. راجع موقع إسلام ويب.

٣) سورة الرحمن، آية ٢٩.

وهى لمحة عبقرية من لمحات الشعراوي – رحمــه الله – أي يقول القرآن ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كيف يخاطب الله شيئاً غير موجــود وقبل أن يوجد ؟؟ إن الشيخ يفسر هذا بأن الله ما خلق هذا الشيء بداية، أي ابتداها – ابتدأها – وإنما هو فقط أظهرها للمخــاليق، فقط، فقط، ولذا كان استشهاد المشــيخة بكــلام – أو بعبــارة – العلامة المفسر الحسين بن الفضل في هذى العبــارة العبقريــة الرائقة الفائقة رداً علي سؤال الأمير عبد الله بن طاهر: يبــديها (يظهرها) ولا يبتديها (ولا يبدؤها بالخلق أو لا يبدأ خلقها).

الفرق بين لفظتي الجلالة: "الله والرب، الله هو المكلــف بافعــل ولا تفعل، هذا خير للإنسان لأنه لو لم يوجد ثواب ولا عقــاب، لا أمر ولا نهي لكانت الدنيا فوضى وسبهللة، كل إنسان يفعل ما يشاء حسب هواه ومبتغاه، إذن جاءت الحماية من الإله، مــن التكليــف، بحيث لا تنظر إلي تكليفك، وإنما تنظر إلي تكليف غيرك لصالحك، أما رب فهي الإلف الأول قبل أن نولد، أو هي الألف المصــاحب، كيف ؟ حين تضيق بالإنسان الأسباب وتحيط به الهموم والمهالــك يتذكر كلمة الــرب: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾.(١)

١) سورة الزمر، آية ٨.

لم يقل دعا الله، بل قال: ﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾، إذن كلمة (الـــرب) لا تزال الملاذ لنا إلي الآن، ومن عالم الذر.

المالك والملِك: (مالك يوم الدين) هذى عمـــدة المحامـــد، لأن العاصي لو لم يحاسب في الآخرة لكان جار علي المطيع الـــذي حرم في الدنيا في حين استمتع ذياك العاصي في دنيـــاه، وهـــذا ليس بعدل.

إن حركة الإنسان في ظل المنهج الصحيح ربما تنفـــع غيـــره ولا تنفعه إلا في أخراه، ولكن لن يضيع الجزاء في الآخرة، لأن الله مالك يوم الدين.

يقول الشيخ في (مالك) قراءتان:

- ملك.
- (مالك).

ولذا تلاحظون أن الكلمة في القراءتين مرسومة (ملـــك) فـــي القراءة الأولي، وفي القراءة الثانية (مالك) ترسم فـــي مصـــحف (مَالك) هناك شرطة مائلة تشير إلي ألف المد - الزمر القديم لها - أي لألف المد، فالرسم مناسب للقراءتين، هذى وجهـــة نظـــر مولانا الشعراوي.

جاء في الإتحاف: (واختلف في ملك، فعاصم والكسائي، وكذا يعقوب وخلف بالألف مداً، علي وزن سامع، اسم فاعل، من ملك مِلكا، بكسر الميم، ووافقهم الحسن البصري والمطوعي، والباقون بغير ألف، علي وزن سمع – بكسر الميم – أي قاضي يوم الدين).

وفي قضية الرسم لماذا لا تكون بالألف، هكذا (مالك) في قراءة من قرأها هكذا، وفي مصحف بلده، كوفيا كان أو بصريا ...)، وفي المصاحف الأخرى وفي القراءات الأُخر (ملك) بدون ألف هكذا، حسب قراءتها، ما هو المانع يا رحمك الرحمن الرحيم، مع احترامنا لرأي الشيخ بأن الرسم الواحد خدم القراءتين، من قرأها (ملك) ومن قرأها (مالك) فقد دلت الشرطة المائلة ورمزت لألف المد.

لكن ما الفارق في المعني بين (ملك) وبين (مالك) الملك له سلطان علي ما يملك أو من يملك فقط، ولا سلطان له علي غيرهما فكل من يملك هو (مالك) أما الملك فكل من له تصرف علي المالكين، كل ملك هو مالك، في حين ليس كل مالك ملكاً، فالملك أعلي من المالك الذي له الولاية علي ما ومن يملك فقط، في حين تجد المِلك له سلطان علي المالكين.

ولكن هذا الملك تنحصر ولايته علي المالكين أو – الناس – المخالفين لسلطته أو القانون، أما غير المخالفين فلا سلطان له عليهم، ولا اهتمام منهم به، ولا شغل عندما لا يخالفون.

ومن ثم فإن من رأي من العلماء أن الملك يدخل في حوزته مالكين رأي أن كلمة (ملك) أبلغ من مالك، والذي رأي أن مالك لا يتصرف في مال غيره، بل هو قد جاء لحفظ خمسة أشياء:

- الدين.
- النفس.
- العقل.
- النسل.
- المال.

مهمة الحاكم – أو الملك – المحافظة علي هذى الأشياء الخمسة.

إذن هو يحافظ علي ما أملك، لا يصرَّف فيما أملك، فهو قد جاء لي ولخدمتي، من فهم هذا رأي أن (مالك) أبلغ من ملك.

لكن الملك في ظاهر الأمر عند الناس يتصرف أيضاً في المالكين، إذن (ملك) أبلغ، ولذا يقول الله: تركت كلمة ملك

لخلقي، فهذا ملك، وهذا ملك، وذاك ملك ومالك، هذى في دنيا الأسباب، أما في الآخرة فلا مالك ولا ملك، ولذا قال الله تعالي: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾.[1]

ولكن الأمر في كل وقت لله !! هذا صحيح: ولكن الله أعطي شيئاً من عنده في الدنيا – إذا شاء – دون الآخرة، فلا شيء فيها إلا بأمر الله فقط، فقط.

إذن الله يطمئنا علي أنه إذا بليت بمالك أو ملك يطغي عليك بحكم الأسباب في الدنيا والمسببات لأنه يملك لك شيئاً، لكن ما يسعدك في الآخرة أنه وحده وحده هو ملك يوم الدين، ومالك يوم الدين، هذا وقت تخرج فيه من طغيان البشر، أو من طغيان من لا يأتمر بمنهج الله إلي عدل الله وحده في الآخرة: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.[2]

لفظة يوم: الله ملك أو مالك يوم الدين، فما معني لفظة (يوم)؟ إنها – أو إنه – يبدأ من وقت إلي مثله من قابل يعني من شروق

١) سورة الانفطار، آية ١٧-١٩.
٢) سورة غافر، آية ١٦.

الشمس إلي شروق الشمس – مثلاً – أو من غروب الشمس إلي الغروب الذي يليه، فتشمل ليلاً ونهـــاراً، يـــوم فلكـــي، أو يـــوم جغرافي، فأما اليوم في التشريع فتجد الآتي:

– يوم ظرف زمان.

– كل حدث له ظرف مكان وظرف زمان يقع فيهما.

– من الممكن أن يملك المكان، ولكن الزمان لا يملك.

ولذا قال المفسرون: مالك يوم الدين، أي مالـــك أمـــور يـــوم الدين، أو مالك الأمور في يوم الدين.

فإذا كان ظرف الزمان لا يملك فإن هذا عند البشر والمخاليق، أما عند الله فإنه يملكه، لأنه هو الذي يملك إطلاقه، ومنـــه يـــوم الدين، قال تعالي:

﴿.... لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ....﴾.(١)

ربك وحده هو المالك للزمان والمكان في يوم الدين، وإن كان المكان لا يملك في مقاييس البشر، وهو أمر مقرر مؤكد حتى في الدنيا، إلا أن الله قد أعطي البشر أو بعض البشر بعض الأسباب، واستخلفهم في بعض الأشياء، فهو القائل:

---

١) سورة الأعراف، آية ٨٧.

﴿.... وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ....﴾.[1]

مجرد استخلاف وتوكيل،

هل يطلق اليوم هنا علي:

- الـــ ٢٤ ساعة ؟

- أم علي مقابل الليل ؟

فـــي قولـــه تعـــالي: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.[2]

إذاً اليوم هنا معناه النهار، هل ســتكون القيامـــة بالنهـــار، أو بالليل؟ نحن لا نعرف، ولكن الله سماه - يوم القيامة - يوماً، أي في النهار؛ لأن فيه استيقاظ الحركة، والناس قبل القيامة تشـــملهم غيبوبة الموت، وعندما يأتي يوم القيامة كأنه استيقاظ من النوم.

ولأننا في يوم القيامة نتعرض للأهوال والمعاناناة، ولا يكـــون محلها إلا النهار، فاليوم إذن إذن هو النهار.

ثم يتطرق الشيخ مرة أخرى إلي: ﴿.... كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾.[3]

---

١) سورة الحديد، آية ٧، ولم تأت ﴿مُّسۡتَخۡلَفِينَ﴾ إلا في هذى الآية من الحديد.

٢) سورة الحاقة، آية ٧.

٣) سورة الرحمن، آية ٢٩.

فما مفهوم اليوم في هذى الآية؟ عرفنا – يفسر الشيخ – في دروس الجغرافيا أن الأرض تدور حول نفسها فينشأ الليل والنهار، وتدور حول الشمس فتنشأ الفصول الأربعة، ولكن الليل والنهار يختلفان في منطقة أو في كل نقطة علي الأرض، يقبل فيها نهار، ويذهب فيها ليل، ومناطق العالم وأرجاؤه لا تعد ولا تحصى، في كل لحظة أو هنيهة، وفي كل منها شأن لله ربنا، بشكل لا ينقطع ولا يفتر طيلة ليل أو نهار.

ثم يتطرق الشيخ إلي أمر لغوي آخر، إنه:

بقي وذهب: عندما أهديت الشاة لرسول الله، وكان رسول الله يحب لحم الكتف القريب من المذبح أو الرقبة، هذا اللحم الرقيق، فقال: ماذا صنعتم بالشاة، قالت: تصدقنا بها، وبقي كتفها، قال الرسول: (كلها بقي إلا كتفها)، لماذا لأن الكتف قد أخذناه لأنفسنا، وغير الكتف – أو ما عداه – الذي تصدقتم به قدم لنا في اليوم الآخر، فهو الذي بقي، فالأصل الأصل أن يكون النفع في يوم الآخرة، فنعيم الدنيا إما أن يفوتنا، أو نحن الذين نفوته، معظم النعيم في الجنة أنه لا يفوتني ولا أفوته، إذن فهل الخير أن يكون نعيمي هنا أو هناك ؟ هناك.

صدق رسول في قوله كلها بقى إلا كتفها، ولذا دخل واحد علي بعض الصالحين، فقال له: أنا أريد أن أعرف، أأنا من أهل

الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ انظروا - يقول الشيخ - إلي دقة الجواب وإشراقية الأداء، قال: يا أخي، إن الله أرحم بعباده أن يترك أوزانهم في أيدي أمثالهم، ميزان كل امرئ في يد نفسه، لأنك تستطيع أن تغش الناس، لكن هل تستطيع تغش نفسك، قال الرجل الصالح في جوابه: إذا كنت تسر بمن يعطيك فأنت من أهل الدنيا، وإذا كنت تسر بمن يأخذ منك أكثر فأنت من أهل الآخرة، لأن الناس يحبون من يعمر لهم ما يحبون.

ولذا كان بعض الصالحين إذا دخل عليه من يريد صلته يقف له، ويقول: مرحباً بمن جاء من يحمل زادي إلي الآخرة بغير أُجرة، وشبيه هذا ما رواه مسلم من أن رسول الله قرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾(١) ... فقال: يقول ابن آدم: مالي مالي - حين يفخر المرء بما له من مال، فيرد سيد الخلق: (إنما له من ماله ثلاث:

- ما أكل فأفنى.
- أو لبس فأبلي.
- أو أعطى (فاقني) أي أبقى.

رواية أخرى: (وهل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت)؛ فالطعام يفنى،

---

١) سورة التكاثر، آية ١.

والثياب تبلى، لكن الصدقة تبقى تنفعك عند الله تعالى يوم الدين، وفي رواية ثانية: (وما سوى ذلك)، أي ما سوى هـذى الثلاثـة (فهو ذاهب وتاركه للناس)[١].

وهكذا تختلف دلالة الألفاظ في الدنيا وعند البشر عـن هـذى الدلالة في الآخرة عند الله، كيف؟:

- ما يؤكل من الشاة أو من الطعام هو الفاني.

- ما يتصدق به هو الباقي النافع المفيد يوم القيامة.

- علي عكس معنى فنى ومعنى بقى في دنيا الناس.

ومن ناحية أخرى فإن اليوم، مفهومه ومعناه مختلفان ما بـين دنيا الناس وما بين عند الله؟:

- فاليوم الفلكي في دُنا البشر دورة للشمس حول نفسها.

- لكن هذا اليوم عند الله هو أيام لا تحصى في كل رجا مـن أرجاء أرض الله.

- وفي القرآن الكريم:

﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.[٢]

---

١) راجع: شرح الترغيب والترهيب للمذري من خلال موقع:
- www.al-maktaba.org.

٢) سورة الحج، آية ٤٧.

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.[1]

- المالك والملك في الدنيا له جزء من التأثير والفاعلية وجزء من معادلة الحياة بما وهبه الله، وبما ارتضاه، لكن في يوم الدين لا ملك ولا مالك، كما هو الظن في الدنيا عند بعض البشر، وإنما الأمر والشأن والملك والمقادير فقط فقط لله الواحد القهار.

ومع الشيخ ولمساته اللغوية مرة أخرى ؟

ضمير الغيب والالتفات: من ضمائر الغيبة: "زيد حضر أو زيد قابلته، فزيد هنا غائب، لكن أنت قابلته، أنا تكلمت، فأنت مخاطب، وأنا متكلم، فلو قال الله: الحمد لي، فهذا تكلم، وإنما قال الحمد لله، لأن الله غيب، وأيضاً: رب العالمين غيب، ليس أمامي، أخذناها كلها بالغيبات، وهي عقدية (عقائدية) فهذى الأخيرة لا تأتي في أمر حسي أبداً.

نعم، نعم هل تقول: أعتقد أنني أنا جالس في المسجد أتكلم، هذه ليست عقيدة لأنها أمر حسي، لا تدخل دائرة الاعتقاد والإيمان، فالغيب في:

---

١) سورة المعارج، آية ٤.

- الحمد لله رب العالمين.

- الرحمن الرحيم.

- مالك يوم الدين.

كل ما سبق غيب، فكان السياق يقتضى أن يكون (إياه نعبد) لكن السياق انتقل إلي المخاطب (إياك نعبد) هذى يسمى – في البلاغة – بالالتفات، يعني انتقل السياق من الغيبة إلي المخاطب، انتقل الغيب إلي حضور الخطاب، فلا يصح أن يبقى غيباً، إنما يصبح حالاً: (إياك نعبد، وإياك نستعين).

وكان يكفي أن نقول: (نعبدك ونستعين بك) لكن لاحظ: إذا قلت: أقابلك، فهذا لا يمنع أن تقول: وأقابل فلاناً، لكن إذا قلت: إياك أقابل، لا يعطف عليه ولن تقابل غيره، وهذا يعني أننا نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، علي عكس نعبدك فقد يعطف عليه غيره، أو نعبد غيره، لماذا ؟ لأن معني إياك نعبد، أي نخضع، وقمة الخضوع في السجود، حيث يتحول الإنسان من انتصاب القامة إلي أن يسجد علي يديه ورجليه، ورأسه الأعلى يصبح علي الأرض إظهاراً عياناً جهاراً للخضوع لله، وأمام كل الناس، وليس سراً بين العبد وبين ربه مع سوائية العبادة لله، وليس لأحد غير الله.

وهكذا يتضح لنا دقة العربية في التفرقة بين:

نعبدك وبين: (إياك نعبد)

وبين: نستعين بك، وبين (إياك نستعين).

علي عكس ما يتصوره الواهلون الواهمون من أنه ربما لا يكون هناك فرق بين (إياك أعني) وبين: (أعنيك).

فهذا المستشرق الهولندي - مثلاً - في أحد المؤتمرات بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ٢٠٠١م يسأل الحضور من العرب:

لماذا تقولون: (الرجال قاموا) مبتدأ وخبر، فلو كانت : (قام الرجال) قلتم فعل وفاعل، فما الفارق والمميز بين الجملتين غير الترتيب، والحق - يا عزيزي فيرستيخ - أن الجملة الأولي بدأت بالجزء المهم (الرجال) التي هي مبتدأ، أما في الجملة الثانية فكان الأهم هو الفعل، ولذا بدئ به، فالبدء في كليهما مختلف، فمبرر التقديم هنا هو الأهمية، وكلتاها الجملتين ليستا سواء.

الحلقة السادسة

هناك لافتات والتفاتات لغوية عديدة في هذى الحلقة السادسة منها: أشار الشيخ إلي أن البسملة اشتملت علي اسم خالق الوجود، وهو: (الله) وكذا في مفتتح الفاتحة، كما لاحظ الشيخ أن اسم الرحمن والرحيم وجدا في التسمية وفي الفاتحة أيضاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

- الرحمن الرحيم - إلي آخر السورة.

إذن فثلاثة أسماء تكررت في البسملة وفي الحمد، وهنا ينبه علي أن تكرار أي شيء في القرآن لا تسميه تكراراً، وإنما تسميه تأسيساً لمعني جديد، فهو في ظاهره تكرار للفظ ولكن سياقه يتطلبه مرة أخرى.

فنحن نقول (بسم الله .....) لما نفعل، أو قبيل ما نفعل، ولكنا نقول: الحمد لله، لما فعل لنا، فهناك فارق بين الصفات تأتي بعد: (بسم الله) وبين (الحمد لله) الأولي لما سُخر الله لي وأخضع دون قدرة مني، فأما الحمد لله، أي لما فعل لنا.

كما نقول: (إن شاء الله) للمستقبل، والحمد لله، لما كان في الماضي، فلا نقدم المشيئة هنا، لأن العمل تم، وشاءت المشيئة.

الرحمن الرحيم في البسملة لها مدخل سياقي غير مـــدخل: (الحمد لله، رب العالمين، الرحمن الرحيم)، والتي لها معنـــي جديد عما جاء في البسملة التي قد يقولهـــا العاصـــي وهـــو يستحي أن يشمله الله بالنعائم مع أنه يعصى الله؛ لأن الله هو الرحمن الرحيم.

ولكن: (الرحمن الرحيم) بعد الحمد لهما مذاق آخر، فقـــد زاد بعد الحمد (رب العالمين) ومع أنه رب العالمين (ربوبية وتربية) إلا أنه في ذات الوقت رحمن رحيم.

قوة الذاكرة: لدى الشيخ الشعراوي سرعة البديهـــة، كيـــف ؟ يرى الشيخ أن النعائم من الخالق إلي المخـــاليق، تشـــمل عقـــل الإنسان ودمه وكل كيانه، ومن ثم فإن الحمد من قبل المخلـــوق يجب أن يصل إلي كـــل كيانـــه، ويستشـــهد الشـــيخ بـــالقرآن والشعر، وهذى بعض النماذج:

تصوير الحب – كمثال – ومفهـــوم، أيـــاً كـــان المحبـــوب، فالانفعال للمحبوب هو الأهم:

(تقرطق أو تمنطق أو تنبّى) يعني: البس القرط – أو المنطق – الخزام، أو القباء، فلن تزداد عندي قط حباً، لماذا ؟:

تملك بعض حبك كل قلبي ∴ فإن ترد الزيادة هات قلبا.[١]

هذى مقطوعة من مقطوعات الشاعر الملقب بحيص بـيص، واسمه أبو الفوارس، سعد بن محمد ... الصيفي التميمي، شاعر مشهور، كان لا يخاطب أحداً إلا بلسان عربي مبين، وكان يلبس زي العرب.

لُقب بذياك اللقب لأنه رأى الناس يوماً في مزعجة وأمـر شـديد الاضطراب، فقال: (ما للناس في حيص بيص) فبقي علي هذا اللقب:

من مقطوعاته الشعرية الرائعة:

ملكنا فكان العفو منا سجية ∴ فلما ملكتم سـال بالـدم أبطـح

وحللتم قتل الأساري وطالما ∴ عدونا عن الأسرى نعف ونصفح

فحسبكم هذا التفـاوت بننـا ∴ وكل إناء بالذي فيـه ينضـح[٢]

توفى عام ٥٧٤هـ ببغداد، دون أن يترك عقبا.

نعود إلي الأبيات الأولي: (تقرط ...) الصورة هنا أن بعـض حب هذا المحبوب قد ملأ القلب، فإن أراد ذياك المحبوب زيـادة فإن الشاعر يحتاج إلي قلب آخر غير قلبه الذي امتلأ عن آخره، ومن بعض هذا الحب.

---

١) بحر الوافر: (مفاعلتن مفاعلتن فعولن).
٢) من بحر الكامل: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) - راجع مناسبة هذى الأبيات.

ولكن شاعراً آخر وسع الدائرة أكثر، فقال:

خطرات ذكرك تستثير مودتي ∴ أحسّ منهـا فـي الفـؤاد دبيبـا
لا عضو لي إلا وفيه صبابة ∴ فكـأن أعضـائي خلقـن قلوبـا

قائل هذين البيتين أبو الهدى الصيادي، الرفاعي الحسيني، ولد في خان شيخون من أعمال معرة النعمان، تعلم بحلب، وتـولي نقابة الأشراف ، وكان من أشهر علماء الدين في عصره[1].

وما قاله الشيخ – رحمه الله – من أبيات الصيادي، هو قـبس من شعر أبي الهدى، الذي قال فيه، أو جـاء فيـه مـن بحـر الطويل[2]:

خطـرات ذكـرك تسـتثير مـودتي
ولذلك لـم أعشـق سـواك حبيبـاً
تسري بسرك مقل سيرك لي في الدجى
فأحسـن منهـا فـي الفـؤاد دبيبـا
لا عضـو لـي إلا وفيـه صـبابة
إذ كنت به لك – يا حبيـب – لهيبـا

---

١) متفاعلن متفاعلين متفاعلن.
٢) ولد في خان شيخون - ولاية حلب - عام ١٢٦٨هـ - ١٨٤٩م، توفي في الآستانة - ١٣٢٨هـ - ١٩٠٩م - رحمه الله.

ويتدرج الإحساس والاستغراق حيث يقول أحمد شوقي في قصيدته (سلوا قلبي) في مدح سيد الخلق[1]، فيستشهد الشيخ بها في ذين البيتين:

ولي بين الضلوع دم ولحم ∴ هما الواهي الذي ثكل الشبابا
تسرب في الدموع فقلت: ولي ∴ وصفق في الضلوع، فقلت: ثابا

استغراق الحمد: وإذا كان الحب من خلال ما سبق درجات:

الأولي: استغرق الحب قلب المحب حتى ملأه، فلا مجال لمزيد من الحب، فإن كان مزيد من الحب، فهذا المزيد بحاجة إلي قلب آخر، غير هذا القلب الذي امتلأ عن آخر آخره.

الثانية: خطرات المحبوب تستثير مودة المحبوب، ووصل الأمر إلي أنه لم يعد للمحب عضو من أعضائه وإلا وفيه صبابة ومحبة شديدة.

الثالثة: وصلت درجة الحب إلي التسرب في الدموع، حتى صفق في الضلوع قلبه، يا إلهي !!

ويصل في استنتاجه – الشعراوي – إلي أن نعائم الله – أو نعم الله – لا تحصى، هي تحاصر الإنسان في شئونه وزواياه،

---

١) من بحر الوافر.

وعليه فإن الحمد لرب العالمين يجب أن يستغرق المرء في كل ذرة من ذراته، وكلما زاد زادت عطاءات الله القائلة:

﴿... لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ....﴾.(1)

التكرار في القرآن الكريم: لا شك أن الشعراوي فسر القرآن علي الترتيب المصحفي، وليس علي ترتيب النزول، ومن ثم يظهر التكرار في الموضوعات والشخوص في كتاب الله، أو يظهر لبعض الواهلين الواهمين، ولكن الشيخ يرى – ورواية الصواب أن ذياك الترتيب المصحفي وكذا تفسير الرجل، ليس فيهما تكرار أو تكرير، فكل ما في القرآن وفي تفسيره منصب علي موضوع معين، في سياق معين، لكنه – أي الشيخ – يفسر هنا في الفاتحة – أم الكتاب – في الأم والأصل والأساس، فلا تكرار في الكتاب الكريم، ولا في تفسير الشعراوي، ولا فيما تفرع عن هذى الأم.

الشرط والجواب: أو الدافع والواقع، وقد بدأ الشيخ المسألة بسؤال: (ما معني نعبد؟)، وكان جوابه: علي كل شيء أو سببه يظهر في أن الناس يقولون: هذا شرط وذاك جواب، مثل: إن

---

1) سورة إبراهيم، آية ٧.

تذاكر – يا غلام – تنجح، أين الشرط وأين الجــواب؟ الشــرط: تذاكر، والجواب: تنجح، الكل متفق علي أن الشرط ســبب فــي وجود الجواب، المذاكرة سبب في وجود النجاح.

يعقب الشيخ بأن هذا ظاهر العلم وبادهه !! ولكن حقيقة العلــم ليست هكذا !! لماذا ؟ أنت تتكلم عن الواقع، لكنك أهملت شــيئاً أساسياً في عناصر حركة الإنسان، وهو الدافع قبل الواقع، أنــت تقول: إن تذاكر تنجح، هذا للواقع، لكن هو ذاكر ليــنجح، أي أن النجاح انتهي في ذهنه أولاً بكل مميزاته، ثم ذاكر ليحقــق هــذا النجاح في الواقع.

إذن فكل شرط بين جواب واقع بعده، ولكنه كواقع يأتي قبــل هذا الواقع أي أن النجاح كدافع موجود قبل المذاكرة، وكل شرط يأتي واسطة بين دافع وبين واقع، كيف ؟ يفسر الرجل:

أنا ركبت سيارتي للذهاب إلي الإسكندرية، ركــوب الســيارة سبب، قطع الطريق سبب، إلي أين ؟ فأنا عندما أركب وأذهــب فهذا سبب في الوصول، لكن الوصول – أو تخيل الوصــول – وجد أولاً، أي انتصبت الغابة أولاً، ثم جاء الشرط ليحقق الغاية، بعد أن كانت دافعاً صارت واقعاً.

كذلك كل سبب وكل مسبب، وكل علة وكل معلول، فإذا انتهينا إلي هذا الفهم رأينا أن قول الله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.(١)

معناه: أن علة الخلق هي العبادة، إذن فالعبادة تأتي أولاً، أي الدافع للخلق، ثم يخلق لتتحقق العبادة ؟ فالمراد الأعلى في الخلق العبادة، ففرق بين الدافع والواقع.

ولكن أفعال الله لا تعلل، يقول الشيخ إن أفعال الله تعلل بعلة تفيد المخلوق، ولا تفيد الخالق، إذن الله خلق لنعبده، إلا أن عبادتنا له تعطيه شيئاً من الفوائد، هذه العبادة لتسعدنا وتنظم لنا حياتنا، توجد العلة هنا لكنها ليست لله، إنما الفائدة للمخاليق، وإلا فإن اله منزه عن العلة.

وبمجرد الخلق فإن علي المخلوق أن يعبد الله، بيد أن الله لو أراد القسر والإجبار علي العبادة ما استطاع أحد من الخلق أن يخرج عن إرادتي، أو يشذ عن طاعتي، ولكن هذا يثبت لله القدرة علي القهر والإجبار، كما يثبت هذا المحبوبية لله، الذي يريد الحرية لخلقه، من أراد أن يعبد الله باختياره، ومن أراد المعصية باختياره أيضاً، وهذا يثبت لله فيما لا دخل للعبد فيه،

١) سورة الذاريات، آية ٥٦.

ولكن فيما للمخلوق اختيار يأتيني المرء حباً ورغباً، لا قهراً ولا جبراً ولا رهباً.

ولكن نجد التفرقة بين (عَبَد) التي سيشتق منها (عبيد) وبين (عَبَد) التي سيأتي منها (عباد) فمن ناحية فإن كل الخلق عبيد لله، اختيار لهم في عديد من نواحي الحياة، مثل:

- حين يولد المرء.
- كيف يولد.
- ومتى يموت.

فهو مقهور في مثل هذي الأشياء، وهو عبدالله، مثل جميع الخلق، ومن الناحية الأخرى يريد من بعض العبيد أن يكونوا (عباداً) فما الفرق ؟ العبيد متساوون فيما يقهرون عليه، لكن (العباد) منطقة الاختيار فيهم، فواحد يطيع، وآخر لا يطيع، وكل باختياره، فالذي يتنازل عن اختياره الحر لمراد ربه في التكليف نقول له: (أنت من العباد)، ولكن كلنا كلنا عبيد.

ولذا يقول القرآن (وعباد الرحمن؟) من همو ؟:

- الذين يمشون علي الأرض هونا.
- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[1].

---

١) سورة الفرقان، آية ٦٣.

- إلـــي قولـــه تعـــالي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.(١)

إحدى عشرة آية من سورة الفرقان - وهـــي مكيـــة - فـــي المرحلة المكية من نزول الفرقان عددت هذى الســـورة صـــفات الرحمن عداً وإحصاءً مفصلاً تفصيلا.

والآن مع الشيخ مرة أخرى معقباً علي الآية السابقة؛ ليقـــول من أجل هذا قـــال الله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ .....﴾.(٢)

قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ ما دمتم عبادي .. لأنكم دخلتم في منطقـــة (العبادية) لا العبيد، إذن فإن من يأتيك بالحب والطاعة وهو قادر علي العصيان، فهو من العباد.

فحـــــين يقـــــول الحـــــق: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.(٣)

أيريدهما - الجن والإنس - عبيداً أو عبـــاداً ؟ هـــو يريـــدهم عباداً، لا عبيداً، وإلا لو أراد الله أن يجبرنا ويقهرنا علي شـــيء

١) سورة الفرقان، آية ٧٤.
٢) سورة الزمر، آية ٥٣.
٣) سورة الذاريات، آية ٥٦.

أكـــان بمقدور غيره أن يمنع مراد الله وإرادته، ومن ثـــم قـــال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.[1]

لأن الله لا يريد أن يخضع قوالب متماثلة، أو حتى متشـــابهة، إن الله يريد أن يخضع قلوبـــاً بالحـــب بالاختيـــار، لا بالإجبـــار، لأن إخضاع القالب يأتي من مثلك، الذي يستطيع بالتهديد والوعيد علـــي أن يجبرك علي السجود له، أو تهتف بحياته، لكنه لا يســـتطيع أن يمتلك قلبك، في حين يريد الله القلوب، لا القوالب، ولذا جـــاء فـــي القـــرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾.[2]

إن أردت – يا محمد – أعناقاً تخضع، فهذا ممكن بـــدليل أن الله أجرى علي البشر أعمالاً قسرية لا يستطيع أحـــد تجنبهـــا أو الفرار منها.

إذن فالله لا يريد الإكراه، لكنه يريد الحب، فالعباديـــة تـــأتي بالحب إلي التكليف، لا بالإكراه، إذن: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.

---

1) سورة البقرة، آية ٢٥٦.
2) سورة الشعراء، آية ٣-٤.

هذه هي المهمة، أي أن نكون عباداً ليتحقق محبوب الله فينا، ومنا، لأنه لو أرادنا غير هذا لفعل، لكنه تركنا مختارين؛ فالمخلوق لا يفعل شيئاً لا يريده الخالق، فمن سرق لم يسرق رغماً عن خالقه، وإنما عمل عملاً لا يحبه، إنما أعطاه الاختيار ليسرق أو لا يسرق.

ويضرب الشيخ مثلاً بابنه الذي يشتري ساعة له فإنه يستعملها بطريقته وحسب رغبته، وعندما يشتري تلفازاً، وينصحه أبوه بعدم مشاهدة مالا يرغبه أبوه، الذي يخبر أولاده بما يحب ويكره أن يشاهدوه في تلفازهم الجديد، فإذا خالفوا فقد خرجوا عن محبوب الأب وليس عن إرادته.

وعليه فمن يحقق المراد من عبودية الله ؟ إنهم المؤمنون به، ولكن هل هؤلاء المؤمنون سواء في الاتباع. كلا، هم متفاوتون، ولذا قال الله: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴾.(١)

إذن هناك كريم عند الله، لكنه ليس (أكرم) هذا الأكرم هو من زاد في التقوى، ولذا لم يقل الله (أكرمكم عند الله التقى) لكن القرآن قال: ﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾ فهناك تفاوت لدى المؤمنين في التقي والطاعة والعبادة.

١) سورة الحجرات، آية ١٣.

فالأتقى أعلي منزله عند الله وأكرمهم عليه، ولكن الأكثر علوا وتقي هم الأنبياء، وهو معصومون، وغيرهم غير معصوم، يمكن أن يخطئ.

وقمة التقى لدى الأنبياء محمد ﴿ﷺ﴾ الذي حقق قمة العبودية والعبادية لله، ولذا فقد كان خير الخلق، سيد الأولين والآخـــرين، سيد الإنسان والجان لأنه يمثل قمة العبادية لله.

ومن ثم كان معني: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ هي مرادة لله محببة إليه، والذي يمثلها (تقي) و: (أتقى) (كـــريم) و: (أكرم) ثم ترتقي لدرجة الأنبياء، ومنه إلي درجة سيد الخلق.

إذن فالعلة في الخلق هو محمد ﴿ﷺ﴾ لأنه حقـــق العباديـــة المرجوة لله.

مرة أخرى مع: ﴿إِيَّاكـ﴾ نعبد، أي: لا نعبد غيـــرك، وهـــذا يعني الخضوع لواحد فقط، هذا الكون مزدحم بمواهـــب وقـــوى متعددة، وكل موهبة لها قمة وعكسها، علي درجات مـــن القـــوة والتأثير، مع الخالي من الموهبة، أو هي عنده ضعيفة متهافتـــة، فما يكون موقف هذا الضعيف من المواهب الأخرى القوية، لابد أن ذياك الضعيف سيخضع لها أو لبعضها مع تكـــرر هـــذا، أي

سيخضع بعضنا لبعض حتماً لزما، لكن الله يرحمنا من هذا الخضوع المتكرر للمخاليق إلي الخضوع لواحد فقط، محرراً لك من أن تخضع لسواه، أي أن الخالق ضيق عليك خانة العبودية؛ إذ هي عبودية أورثت حرية، أنا أعبد الله وحده، فلا يهمني الأقوى مني والأغنى والأعلى ... الخ؛ فهذى حرية تتسع عليّ.

وهب أنك لست كذلك، فلم يكون عدد الآلهة التي يمكن أن تخضع لها أعناقنا والسجود الذي تجتويه - تكرهه - به من ألوف السجود فيه نجاة.

وقد قرأت هذا الشطر في البيتين:

تلون في كل ثوب مناه ∴ وشاب بنو الدهر وهي فتاة

فهذا السجود الذي تجتويه ∴ به من ألوف السجود نجاة

وقد تضخع لواحد، وفجاة فجأة يموت، ولذا يعلمنا النصاحة، فيقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ...﴾.[1]

كن عاقلاً، لا تتكل إلا علي الله، الحي الذي لا يموت، فهو حي لا يموت، مرة أخرى عندما تخضع لله، فأنت تخضع كي يمنحك الله ويعطيك ولا يأخذ منك شيئاً، هذا هو الفرق بين

١) سورة الفرقان، آية ٥٨.

الخضوع لله ليعطيك وبين الخضوع للبشر كي تعطيهم أنت، ولا تأخذ منهم شيئاً.

كلمة العبودية التي كرهها الناس من كثرة طنطنة الناس حولها هي التي جعلتنا نكرهها، ولم نفهمها إلا في إطار العبودية للبشر غافلين عن العبودية لخالق البشر.

إذن العبودية لله عز ينسخ كل ما في عبودية غيره:

حسب نفسي عزا بأني عبد ∴ يحتفي بي بلا مواعد ربي
هو في قدسه الأعز ولكن ∴ أنا ألقي متى وأين أحب

يستطيع عباد الله بمجرد أن يرفعوا أيديهم مع تكبيرة الإحرام أن يلتقوا ربهم، محددين الزمان والمكان والوقت، في بدئها ونهوها، يخرج ملتقي ربه متى يشاء من لقياه، ويبدأ متى يشاء، يدعو ربه بما شاء، دون محظور أو محذور، لا يمل حتى تملوا.

فإن أردت مقابلة أي مسئول أو متنفذ قابلتك الحجاب والحاشية والحرس بسيل من التحقيقات: (من أنت؟ – ماذا تريد ؟ ... إلخ) ثم حددوا لك الزمان والمكان والوقف المسموح به وفي أي موضوع تتكلم، ثم تدخل علي المسئول، قد يسمع، وقد يسأل، وقد يغض المقابلة بنعومة وأدب بأن يقف أو يصافحك، وقد يطرد مقابله شر طرده.

لكن الله يعطيك الحرية الكاملة في كل ما سبق، لا يطردك ولا ينهي المقابلة، إلا إذا أنهاها العبد المخلوق فرق وفرق.

إذن إياك أعبد، هذا المبدأ الذي يعز في البشر دوماً، حتى يرحمنا الله من عبودية للبشر أمثالنا، لأن الكل صنعته، وهم عنده سواء، لا أسمح لأحد أن يستذل أحداً، وأنا موجود.

كما يقول كل رجل في أسرته عند يستذل القوي منهم الضعيف والكبير منهم الصغير، فيصيح في الجميع لا أحد يهين أحداً، أو يستقوى عليه وأنا موجود، عندما أغادركم افعلوا ما تشاءون، لكن في حضوري: لا، وألف لا.

فالله لا يذهب ولا يغادر، فهو – كما وصف – نفسه: القيوم، لا تأخذه سنة، ولا نوم، هذى الحكاية الطويلة العريضة والوصف المؤكد.

إذن هو دائم العز فينا ولنا، والخلاصة أن تخصيصه بالعبادة عز وراحة حتى تنصرف طاقتنا فيما ينتج ويفيد، وليس في الخوف والرهب والرعب من بعضنا، وفي كره المتسلطين علينا، فالله يريد قلوباً صافية، هذا الصفاء الذي لا يأتي إلا من: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وكان القياس والمنطق أن يقول العبد: (إياك أعبد) فلماذا كانت بصيغة الجمع ﴿نَعْبُد﴾ لا: (أعبد) بصيغة المفرد؟ لماذا تحشر نفسك مع الآخرين، وتقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولا تقول: (إياك أعبد)؟ هذا من مصلحتك - أيها العبد المخلوق - لماذا؟ لأن العابدين مختلفون منهم المقل، ومنهم المكثر، ومنهم المقبول وغير المقبول، فإذا حشرت بين المقبولين حشرن معهم، أي في يوم الدين.

فالله يعلمنا وإن كنا مقصرين أن نحتال - من الحيلة - وليس الاحتيال أن نكون مع المقبولين حتى نصير منهم، وننال بركتهم، ففي البيع والشراء يحق للمشتري أن يشترط علي البائع خيار العبب، أي إن وجد في السلعة عيباً أن يعيدها إلي بائعها، أو يأخذها علي عيبها، لكنه لا يحق له أن يعيد بعض البضاعة، ويحتفظ ببعضها الآخر، فالصفقة كلها مع بعضها.

وإذا كان الله يشرع لنا أن الصفقة كلها مع بعضها؛ فعندما نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وأنا منحصر بين العباد لعل الله يرحمني ويقبلني ببركة هؤلاء العابدين المقبولين.

لذا لو رأيت إنساناً أعبد منك فإياك أن تغار منه، ادع الله لـــه أن يزيد، لأنك يمكن أن تشملك بركة من هو أعبد منك فتكـــون معه في الثواب والبركات، ولا تسخر منه عندما تراه، إنه يجبـــر تقصيري عند الله، فلعلي عندما أصلي معه ركعة أو ركيعات أن أثاب، فإذا كان ذكر الصالحين ينـــزل الرحمـــات، فمـــا بالـــك بمصاحبتهم في العبادة.

فإذا رأيت أحـــداً مقـــبلاً علـــي الله فـــلا تقابلـــه بالســـخرية والاستهزاء[1]، لأنه ربما يكون الظل الذي تستظل فيه وبه إلـــي مرضاة الله، فإن الحديث الذي ذكره المصـــطفي يقـــول: إن لله ملائكة طوافة فُضْل (لا شغل لهم إلا هـــذا الطـــواف) يتتبعـــون حلقات الذكر – ذكر الله – فيصعدون فيقول الله وهو أعلم بمـــا كان: ما رأيتم؟ رأينا قوماً يجلسون في حلق الـــذكر ويعبـــدونك ويحمدونك، يطلبون جنتك، يقول الله: أرأوها قـــالوا: لا، قـــال: كيف لو رأوها ؟ ويسألونك أن تعفيهم من النار، قال: هل رأوها؟ قالوا: لا، يقول الله: كيف لو رأوها؟ ويطلبون كذا ويطلبون كـــذا ويطلبون كذا، فيقول الله: أشهدكم أنني قد غفرت لهم.

---

١) هذا الاستهزاء الذي يستهين به بعض الناس يودي بصاحبه إلي الردة إن كان سبق له الإسلام، أو الكفر؛ إن لم يكن مسلم كما قال العلماء.

تقول الملائكة – لأمانة البلاغ والنقل: يا رب كان منهم مــن ليس منهم، مر عليهم، رآهم جالسين فجلس معهم، قال: هم القوم لا يشقى جليسهم.

ومن ناحية أخرى فإن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تفيد العبد، وفي حياته ودنياه، كيف؟ هب أن العبد المتقي قال: (إياك أعبــد) فهــداه الله وحده، فإن هذى الهداية تفيد غيره في الدنيا، ولكن المتقــى وإن عبدالله حق عبادته سيستفيد في الآخرة فقط، فإذا اهتدى الآخرون غيره فإن هدايتهم تفيد عباد الله في الدنيا، تريحه مــن الصــراع معهم، وغياب راحته منهم ومعهم.

وعند اهتداء الآخرين – وأنت أيها المؤمن – يكون الوجــود كله منسجماً مع بعضه، فلا تتصادم حركة بحركة ولا تتعانــدان مثل عامل التحويلة للقطارات، يفتح لقطار، في حين يغلقه أمــام الآخر، وإلا يصطدم قطاران.

وإذا تساندت حركات الحياة، ولم تتعاند، رضي كل موجــود عن الآخرين، وهنا حمد آخر للرب الذي شرح لنا المنهج الــذي يحمينا من أهوائنا التي تتصادم.

إياك نستعين بعد إياك نعبد: لأننا إذا عبدنا الله حــق العبــادة وضعت بذرة صراع في الكون ضد من ألفوا استعباد ســواهم، ولا يرغبون في المساواة بين الناس، ويحاربون المنــاهج التــي

تعدل بين الخلق، وغالباً ما يكون هؤلاء المستعبدون لغيرهم من البشر من أصحاب القوة والسطوة أقوياء، في حين يكون أصحاب المنهج الحق أقل قوة وأقل سطوة، وقد نشأ ضعفهم من اغتيال كسبهم من جانب أصحاب السطوة والقوة.

ومن هنا فإن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تؤذننا بالمناعة الإيجابية، فحين يلتزم المتقون العابدون سوف يتأبى عليها المستكبرون، فسوف يدخل التقاة في صراع معهم حتى بلاغ مرحلة القوة، هذا الصراع لا تخف منه، فقط استكمل الأسباب قدر ما استطعت، ولا يهولنك أنك أقل من هؤلاء المعاندين أسباباً، فإن قصرت بك الأسباب فلك رب به تحتمي وتستعين، واطلب منه المعونة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن كنا - يارب - نخصك بالعبادة فسيقوم صراع بين حق وباطل، هذا الصراع لدينا أسبابه وأدواته، لكنها دون ما عند أعدائنا.

إن قولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وضعت دستوراً حركياً للحياة، كيف ؟ إنك عندما تقول: استعان فلان بفلان، لا يكون إلا إذا كان فلان الأول يعمل، فطلب المعونة معناه استنفد ما عنده من أسباب، إنك تستعين بالله عند نفاد أسبابك، وإذا كانت أسبابك أقل من أسباب المعاندين فإنك عندما

تعبد الله فلن يتخلى عنك، فقط استنفد أسـبابك: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾.[١]

لم يقل الله: وأعدو لهم ما يكافئ قوتهم أو عددهم أو عـدتهم، وإنما قال: قدر ما استطعت، واترك الباقي علي الخالق، ويخـتم الشيخ الحلقة بدعائه:

نسأل الله – تعالي أن يبصرنا بمنهجه وأن يقوينا علي تحرير حركتنا من إرادات سوانا.

وأنا بكل تواضع جسم أقول بعد كلام الشيخ – رحمه الله – ما يلي: جاء إعرابي إلي سيدي رسول الله سائلاً: إلام تدعو؟ قـال: إلي لا إله إلا الله، وأني رسول الله، قال الإعرابي: هذى كلمـة تهابها الملوك، أو تكرهها، وقال: إذن تحاربك العرب والعجم.[٢]

نعم يا رسول الله: حاربك العرب والعجم وعن قوس واحـدة، كما يحكي لي أحد أصدقائي المخلصين.

ولكني أضيف أيضاً مضيفاً إلي نهى الإمام عن السخرية ممـن هو أعبد منك: بينا رسول الله يسير في غزوة تبوك وركـب مـن

---

١) سورة الأنفال، آية ٦٠.
٢) لقد فهم الأعرابي بسليقته العربية أن هذى الجميلة التي قالها الرسول تعني التحرر من كل عبودية إلا عبودية الله، عز وجل.

المنافقين يسيرون بين يديه إذ قال بعضهم: انظروا هذا – يقصدون الرسول – يفتح قصور الشام، ويأخذ حصون بني الأصفر، فأطلع الله رسوله علي ما في قلوبهم وما به يتحدثون، فقال سيد الخلق: اصبوا عليّ الركب، ثم أتاهم فقال: قلتم كذا وكذا فحلفوا مدعين أنهم كانوا يخوضون ويلعبون ... هذه رواية الطبري.

أما ابن كثير فروايته أن رجلاً في عزوة تبوك قال في مجلسه: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء، فرد عليه رجل في المسجد: كذبت، ولكنك منافق، فبلغ ذلك رسول الله، ونزل القرآن: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.(١)

وقبل هذى الآية من سورة التوبة: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، قل: استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون.

قال عبدالله بن عمر: وأنا رأيته بحقب ناقة الرسول تنكبه الحجارة، وهو يقول: يارسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، والرسول(٢) يقول: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ؟!

---

١) سورة التوبة، آية ٦٥-٦٦.
٢) راجع: www.alohah.net/sharia

والاستهزاء[1] أخو الكفر وقرينه، فهذا الإمام عثمان بن فودي مؤسس أمبراطورية (سكتو) الإسلامية في غرب القارة الإفريقية – ت ١٨١٧م – يؤكد أن من أصناف الكفر المحقق:

الشرك والتكذيب والاستهزاء.

أحد أساتذنا كان يشرح الأمر – الاستهزاء – بأن من استهزأ بأي آية شعيرة من شعائر الإسلام – أية شعيرة – مثل تقليم الأظافر – وهو من فطرة الإسلام فقد كفر، أو ارتد عن الإسلام إن سبق له إسلام صحيح.

وما لنا نذهب قريباً أو بعيداً، هذى سورة المطففين في نهايتها هذى الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾.[2]

هذا الاستهزاء والسخرية من الطائعين عند أداء الشعائر هو أمر منتشر بين عامة الناس في بلادنا، وهو كفر صراح بواح، وإجرام ظاهر، فهو يدخل هذا المستهزئ إلي دائرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ....﴾.

---

١) الوصية الرضية من الراعي إلي الرعية، تقديم وتعليق الدكتور أحمد أبو الخير، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٥٤.
٢) سورة المطففين، آية ٢٩-٣٢.

وهؤلاء المنافقون المتطاولون علي الرسول وعلـــي المجاهــدين من الصحب الكرام وصـــفهم الله ﴿...بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾[١]، ومن استهزأ بعباد مؤمن أو بآية شعيرة من شعائر الإسلام هو من:

- الذين أجرموا.
- القوم المجرمين.

قد ارتكبوا صريح الكفر بنفـــاقهم واســـتهزائهم، والله أعلـــي وأعلم.

١) سورة التوبة، آية ٦٦.

الحلقة السابعة

في بداية الحلقة يشير الشيخ إلي طغيان القوى علي الضـــعيف – في هذى الدنيا – ومن ثم أراد الله أن يعدنا إعداداً لمواجهـــة ذلك، فطلب منا (إياك نعبد، وإياك نستعين) أي نستعين بك فـــي إخلاص العبودية لك، ولو قام دون ذلك طغيـــان يحـــول بيننـــا وبينها؛ فيعلمنا الله أن لا نهن دون ذلك، وأن نعد لصولة الباطل: (ما استطعنا فقط) حين نعد لهم ما استطعنا تكون الاستعانة بالله، لأن الاستعانة إنما تدل علي فاعل يفعل ما في طاقته ومـــا فـــي وسعه، ثم يواجه ما فوق طاقته، وهنا يجب أن لا يهن عباد الله، لأنهم مسنودون إلي رصيد أعلي من طوائف الطغيان في البشر.

ولذا يعلمنا الحق أنه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه، ومعنـــي المضطر الذي استنفد كل ما لديه من أسباب، ومن ناحية أخرى فإن دعاء غير المضطر ليس له محل من القبول إلي الله لأن من يرد علي الله أسبابه المخلوقة من أجل المخاليق ولفائـــدتهم، ثـــم يطلب المعونة من الله، يقول له الله: لقد رددت يـــدي بأســـبابي، فلماذا تطلب ذاتي؟!.

الذي يطلب ذاتي هو الذي أخذ من يدي الأسباب التي منحتها له، ثم وهنت أسبابه هو أمام قوة الطغيان، حينئذ يضرع إلي من يعيده، ساعتها يجيبه الله ويجيب دعاه إذ دعاه، لأن دعوته دعوة

مضطر، لذا يجب أن يقف عند هذى الآية يبين لــبعض النـــاس لماذا لم يجب الله دُعاهم ؟

إنهم يتوهمون أن وعد الله أُخلف عــن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ .....﴾.[1]

فيقول العبد دعوت فلم يستجب لي؟! نقول له: لقد دعوت عن غير اضطرار، دعوت الله في أمر أعطــاك أســباب تحقيقــه، وإنجازه في حركتك في الحياة، ولكنك تكاسلت وتركت الأسباب فكيف تترك يد الله ممدودة بالأسباب، ثم تطلب مــن ذات الله أن تعينك، إنما الطالب من الله أن يعينه، بعد أن يستنفد كل أســبابه في الحياة، هذه المسألة تشير إلي أن الحق – سبحانه وتعــالي – له جنود لا يعلمها إلا هو، يمد بها المضطر فقط، والذي اســتنفد الأسباب، وقد ضربت مرة في القرية مثلاً لهذا بسيطاً جداً يجلي هذى الحقيقة الكونية: هب أن تاجراً كبيراً يجلــس أمــام محلــه الكبير الناجح، يرى العمل مستمراً يدور دولابه، هو يجلس أمام متجره الكبير مستريحاً، رجلاً علي رجل يتابع العمل والعمــال، وهنا لا يأبه لشيء، ولا يلتفت إلي شيء، ثم فجأة يجــد عــاملاً

١) سورة البقرة، آية ١٨٦.

يحمل صندوقاً أكبر من وسعه وطاقتـــه يســقط علـــي الأرض بصندوقه، هنا يهب التاجر الكبير لنجدته، ولعله يوجـــه بعــض العمال الآخرين لمساعدة عامله وحمله إلي براً الأمان.

لأن التاجر رأي عامله قد استنفد أسبابه والحمل فوق طاقتـــه، ولذا فزع هذى الفزعة القسرية، آلياً وبدون ترتيب، بل ربما أدت هذه الحركة العفوية إلي أن يحطم بعض الأشياء في طريقه.

كذلك ربك، حين تتعرض لشيء من متاعــب الحيـــاة، وقــد استنفدت كل أسبابك ووسعك أمام الأسباب المشـــروعة لا تهــن أمام الأسباب، ولا تتصور أنك تواجه وحدك، لكن تعينك قوة من به آمنت، وعليه توكلت، ولذا فـــالمنطق البـــادة أن الله يعينـــك وانظروا إلي دقة الأداء القرآني:

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ...﴾.[1]

إذن فقوله تعالي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدل علي معركة ســتحدث مع قوى البغي والطغيان بسطوتهم وقوتهم وضعف قـــوتي إلـــي جانب قوتهم، ومن ثم يجب عليك أن تثني علي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بما تلاها: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

١) سورة الزمر، آية ٣٦.

فلا يستطيع بشر أن يقف بقوته ضد قوله الله، إنما يقف البشر بقوتهم ضد بعضهم، ولا قبل لهم – هؤلاء المخاليق – بقوة خالقهم.

ونترك هذى القضية التي بسط الشيخ القول فيها إلي مسألتين: الأولي: مادة (ن ف د): بالدال تختلف عنها بالذال (ن ف ذ) فهذى الأخيرة بالذال تعني اخترق ودخل (نفذ السهم أو السكين) أي اخترق، و: (نفاذ القانون وتنفيذه) تطبيقه، في جين نفس المادة بالدال لها معني آخر، قال تعالي:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ...﴾.(١)

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.(٢)

(ينفد) = ينتهي، ولا يبقى منه شيء، و(النفاد) هو مصدر فعله السابق.

ولذا من الخطأ الشائع قوله (نفذت الطبعة) بمعني انتهت، والصح أن تقول: (نفدت ...) بالدال لا بالذال، فهذا من المبالغة في الفصاحة والصحة اللغوية.

---

١) سورة النحل، آية ٩٦.
٢) سورة ص، آية ٥٤.

ولذا فـــإن في حديثه في هذى الحلقة استخدم كل مشـــتقات (ن ف د) بالدال لا بالذال، وهذى بداهة ومنطق، ولا يمكن لمثله أن يشم منه رائحة هذا الخطأ.

الثانية – والعصر، إن الإنسان لفي خسر، يصرح الشـــيخ أن خبر لفظة (الإنسان) في القرآن، هو خبر لا يسر دوماً، هو دائماً من جنس الشر: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.[١]

ولا ينتشله من هـــذا إلا أن يكـــون مؤمنـــاً: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....﴾[٢] ولا ينتشله من هذا الخسران (إلا) اقـــرأ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾.[٣]

إذن لا ينقذ الإنسان من هذا كله إلا (الإيمانية)[٤] الإنسان علي إطلاقه لا يسر، لكن الإيمان مع الإيمانية هو مـــا ينجيـــه، ثـــم يتطرق الشيخ إلي معني:

١) سورة المعارج، آية ١٩.
٢) سورة العصر، آية ١-٣.
٣) سورة المعارج، آية ١٩-٢٢.
٤) وهذا ما أشارت إليه دراسات سابقة لي حول الإنسان في القرآن الكريم من خلال فكر سعيد النورسي (ت١٩٦٠م).

والعصر: ما هو مفهومه؟ طائفة (مقدار) من الزمن، جمعتها خصائص أو (جمعته) خصائص مشتركة مميزة:

- العصر الجاهلي.
- صدر الإسلام.
- العصر العباسي.

كل شيء له صفة مميزة ومجموعة من الحقائق والخصائص نسميها بالعصر، أيها الإنسان: استقرئ، هل تجد نجاحاً إلا لإنسان آمن بعقيدة، ولم يكتف بالإيمان بالعقيدة، لأنها فقط (الينبوع) الذي يصدر عنه السلوك، فعقيدة بلا عمل لا قيمة لها:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ....﴾[1]

إلا من آمن بعقيدة، أي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ....﴾؛ لابد من الإيمان وبعده من حركة، أي: (الإيمان + العمل الصالح)، وعمل الصالحات يعرض الصالحين لعدوان أهل الباطل، سيدخلون في معركة، وعندها يأمرهم الله: ﴿.... وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.[2]

---

١) سورة العصر، آية ١-٣.
٢) سورة العصر، آية ٣.

مفهوم التواصي: أن تكون الوصية من كل واحد لغيــره، أي: أن توطيني، وأنا أوصيك؟ لماذا لأن النفس البشرية أمام التكاليف المختلفات قد تضعف، فأنا قد أضعف في شيء، وأنت في شيء قد تضعف، ليس عندك مبررات ضعفي، وأنــت لــيس عنــدك أسباب ضعفي، فأنا أوصيك في جوانب ضعفك، وأنت توصــيني في جوانب ضعفي، وهكذا أنت موصِي وموصَي، بفتح الصـــاد وكسرها.

عودة إلي الشعر: مما يميز تفسير الشيخ غــزارة الاستشـــهاد بالشعر العربي، وقد أعطينا أمثلة سلفت، وهذى أمثلة أخرى:

١- قال المتنبي؛ من بحر الطويل:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسـه ∴ حريصا عليها مستهاما بها صـبا
فحب الحبان النفس أورد التقى ∴ وحب الشجاع النفس أورده الحربا

كما استشهد أيضاً بقول الشاعر "دقلة المنبجي":

فالوجه مثل الصـبح مبـيض ∴ والشَّـعْر مثـل الليـل مسـود
ضدان لما اسـتجمعا حَسُـنا ∴ والضد يظهـر حسـنه الضـد

لا شك أن ذاكرة الشيخ كانت ذاخرة فياضة بروائــع الشــعر العربي وفائقة ومتميزة، هذا الاستشهاد المتميــز شــديد اللياقــة والمناسبة واللياقة ليؤكد قوة ذاكرة الشيخ، ومن ناحيــة أخــرى

يؤكد أن الشعر العربي حمال لقيم الأمة ووسطيتها، فهي شـــاهدة قيمة علي الأمم الأخرى، وهكذا يجب أن تكون، فهل يشهد عليها إلا خير البشرية، سيد العرب والعجم، سيد الأولين والآخـــرين، سيد الإنسان والجان، وكافة المخالق، اقرأ قوله تعالي: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا .....﴾.(١)

فأما الجانب الآخر المظهر الشائع من الأدب العربي أو عـــن ذياك الأدب – سيما الشعر – فهو جانب واحد، قليلاً كـــان هـــذا الجانب أو ضئيلاً فإن هناك قوي شريرة من المغضوب علـــيهم، وكثير من أتباع كل ناعق من المضللين الضالين، هؤلاء جميعـــاً جادون حرصاً ودأباً علي نشر هذا الجانب الشرير مـــن شـــعرنا العربي.

بل إن هذا المنحي يجد له شبيهاً فـــي التعامـــل مـــع القـــرآن وحديث سيد الخلق، حيث التكرار لآيات معينة وأحاديث، وإهمال ما عداه مما يفيد الأمة ويدفع إلي نهوضها، والأمر لا يحتاج هنا إلي ضرب أمثلة.

---

١) سورة البقرة، آية ١٤٣.

وبرغم هذا نزعم بل نؤكد أن الاستشهاد بالقرآن الكريم هو سيد الاستشهاد لدى الشيخ – رحمه الله – وهذا منبث مبثوث في جميــع ثنايا حلقات التفسير، ولنأخذ علي هذا مثالاً في الحلقة قبل الأخيرة، في نهاية الحلقة حين فرق فضيلته بين المغضــوب علــيهم وبــين الضالين، بين من اتبعوا – بضم التاء المشددة – وبين من اتبعــوا، بفتح التاء، وما جاء من مادة: (ض ل ل) في القرآن الكريم.

ومن ناحية أخرى فإن الشيخ يشير إلي أن للشاعر أن يقول ما يقول وأن يظهر ما يظهر، لكننا – نمن المستمعين – أو من يقرأ هذا الشعر يأخذ ما يشاء من المعاني، ففي الأبيات السابقات:

فالوجه مثل الصــبح مبــيض ∴ والشَّــعْر مثــل الليــل مســود
ضدان لما اســتجمعا حَسُــنا ∴ والضد يظهــر حســنه الضــد

فإنا نخرج من هذا الشعر من أن الضد يظهر حســنه ضــده، وليس الوصف المباشر لصاحبته في بيــاض وجههــا وســواد شعرها، هذى الصورة الحسية القريبة، فالشاعر يقول ويقــرض والمستمع – أو القارئ – يوجه ويتأول ويفهم ما يشاء، ما يفهمه المستمع في كثير من الأحيان لا يتطابق أو يتفق مــع مقصــود الشاعر ومراده وخريطته أو الصندوق الأسود للشاعر في خبايا نفسه ومكنون قلبه وفؤاده.

ومن ناحية آخري علينا أن نلتزم بأدب القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ .....﴾.(1)

وإنا لنقول لمن عاب علي الشيخ – أو عتب – لعدم استشهاده بأقوال الصحابة – رضي الله عنهم – أن الاستشهاد بهذا الشكل من الغزارة والإفاضة بالقرآن الكريم والسنة وفاخر الشعر وحكم العرب هذا الاستشهاد بهذا الشكل ليغني غنيه عن غيره، وهو مقدم عليه، مع الترضية العاطرة الراضية عن صحابة محمد – صلي الله عليه وآله – فقد سبقونا جميعاً وفضلوا علينا برؤية محمد والصلاة خلفه والتتلمذ علي يديه، ثم ؟ ثم الجهاد معه، والأهم من هذا كله الإيمان به ونصرته، تنفسوا الهواء الذي تنفسه، وساروا علي التراب الذي عليه سار، قووه وأذروه بالنفس والمال والأهل والولد، فرضي الله – تعالي عنهم وأعلى درجاتهم في عليا الجنان – ويكفيهم تاجاً علي رءوسهم أقواله فيهم منها:

أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ...

وأصحابي أمنة لأمتي

المحسنات البديعية: يستخدم الشيخ ضرب الأمثلة، ويلتفت إلي المحسنات، فيضرب مثالاً علي التلميذ الكسول الذي يوقظونه من

---

1) سورة الزمر، آية ١٨.

النوم ليذهب إلي المدرسة، يخرج من البيت، فلا يقصد مدرسته، ربما يتسكع في الشوارع، أو يجلس علي مقهى أو ينضـــم إلـــي الأشقياء من أضرابه وأمثاله، إنه يفعل كل هذا لأنه يحب لنفســـه الراحة والاسترخاء، وهذا حب أحمق، في مقابل الحب الأعمـــق عند هذا التلميذ الذي يستيقظ وحده، وفي الوقت المناسب، يسرع لمدرسته وإلي مدرسيه، يلتفت إلي دروسه، وإلي معلميـــه، هـــذا حب للنفس أيضاً، يحب لها الرقي والرفعة، وإن في المســـتقبل، هذا حب للنفس أعمق، في مقابل الحب الأحمـــق لـــدى التلميـــذ الآخر، فهذا جناس ناقص، بين أعمق وبين أحمق.

ومن ناحية أخرى فإن الفرق بين صوت الحاء وصوت العين هو فقط فقط أن الأول مهموس، والثاني مجهور، مع أن المخرج واحد، هو الحلق، وكذا نجد كليهما احتكاكي، ومـــن ثـــم كـــان الجناس ناقصاً.

مفهوم الطريق المستقيم: ومفهوم الهدايـــة، معنـــي الصـــراط الطريق، موصل إلي غاية، ومستقيم أي لا يوجد طريق أقصـــر منه، أي: تحدد الغاية أولاً، ثم البحث عن الطريـــق المســـتقيم، الغاية هنا هي التي حددها الله، والطريق أيضاً حدده الله، والغاية والطريق هما هندسة عليا الله حـــددها، ومـــا يشـــرعه الله هـــو الصراط المستقيم:

﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ....﴾.[1]

إذن معني: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، أي: يا رب أعطينا العهد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ فخط لنا الطريق والمنهج الذي عليه نسير ونتبع، فما معني: ﴿ٱهۡدِنَا ...﴾ الهداية هي الدلالة بلطف، لأن معني الهداية أن هناك ضالاً يُراد هدايته، فلا يوجه بقسوة، لماذا ؟ لأنك بهدايته ستخرجه عما آلف واقتنع، فلا تجمع عليه صعوبتان، صعوبة الخروج ... الخروج عما عليه آلف، وبطريقة سيئة خشنه تسيء إليه وتجرحه وتحرجه، إنك تحتاج إلي التودد إليه تتألفه، فاللباقة في هذه الحياة أنا عندما نعطي المريض الدواء المر تغلفه في (برشام) لأنا لا نريد أن نجمع علي المريض مر المرض ومر الدواء.

مرة أخرى: ﴿ٱهۡدِنَا ...﴾ الدلالة بلطف، لا بقسوة: ﴿... وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ...﴾.[2]

ومن ألطف من الله ليهدي بلطف ؟!

---

1) سورة الأنعام، آية ١٥٣.
2) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ كلام مطلوبه نظـــري تكليفـــي، إذ يبين لنا الله أن الطريق المستقيم أن ذياك الصـــراط المســـتقيم، هـــو صراط من أنعم الله عليم، فينقل الكلام من نظري إلي واقـــع، قـــال تعالي: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(١).

فمن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ؟ يسميهم لنا ربنا:

- من التبيين (الأنبياء) أو: (الأنبئاء).
- والصديقين.
- والشهداء.
- والصالحين.

ثم يأتي التنديد بالمقابلات والأضداد ﴿.. ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ..﴾ في مقابل ﴿..... ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ .... ٱلضَّآلِّينَ﴾ كما يقـــول الرجل لضيفه: خذ من هذا الطبق إنه طيب حلو، ولا نأخـــذ مـــن ذياك الآخر، هو ليس تحلو ولا يخلو من مرارة، فلا تصف الطبـــق بالحلاوة دون مقابله (المرارة) إن هذا لا يثير الضـــيف ولا يلفـــت

---

١) سورة النساء، آية ٦٩.

انتباهه، ولذا كان المقابل في السورة ﴿...ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ في مقابل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

ويعود الشيخ يستشهد بالبيتين:

فالوجه مثل الصبح مبيض ∴ والشَّعْر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حَسُنا ∴ والضد يظهر حسنه الضد

إذن كان يكفي أن يقول الله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ..﴾، ولكن الله أراد لفت النظر وإثارة العباد بإضافة: ﴿... غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ كما قال الله تعالي: ﴿... فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ...﴾(١).

ولذا فإن الله لا يشير إلي دخول الجنة فقط، بل يسبقه بالزحزحة عن النار، ولذا كان الصراط علي نار جهنم، حتى يرى العبد النار التي نجاه الله منها، أي أن العبد إذا نجا من النيران؛ فهذا مكتسب مهم فإذا انضاف إليه دخول الجنة، ولم يعبر عن النجاة من النيران بعدم دخولها، بل بتعبير أدق ﴿...زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ...﴾ مجرد زحزحه وليس بعدم الدخول فقط.

---

١) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

﴿... أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ أي تفيد بالتكاليف، والتقيد بالتكاليف درجات، ثم جاء المقابل ﴿... غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ فما الفارق بين المغضوب عليهم وبين الضالين ؟!

- ﴿...ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ...﴾: من عرف الحق وكابر فيه وأعرض عنه.
- ﴿... ٱلضَّآلِّينَ﴾: (الضال) من لم يجد من يهديه متخبطاً بين السبل عن سبيل الحق، لكن: ما ذنبه ؟ كان عليه أن يبحث في هذى المسألة، فلا يجعل مسألة دينه أتفه المسائل التي لا يهتم بها؛ كما يهتم بتلك المسائل الدنيوية المعاشية، ولا يهتم بما يخص الدين ؟!، ولذا جاء الضال في المرتبة الثانية بعد المغضوب عليهم، هذا المغضوب عليه الذي ما عارض المنهج، لكنه ابتعد عنه؛ لأنه لا طاقة له علي تبعاته.

ولذا فإن الإسلام عندما جاء إلي العرب، فقال لهم: قولوا لا إله إلا الله، فما قالوها، لم ولمه، لماذا لم يقولوها ؟ لأنهم فهموها وفهموا تبيانها ومطلوبها، لو كانوا فهموا أنها كلمة تقال دون التزامات وتصنع هدنه بينهم وبين محمد لما توانوا في قولها،

إنما أدركوا مطلوب: (لا إله إلا الله) فما قالوها لأنها سوف تعطيهم منطقة تكليفية مثل الأناسي الآخرين.

إذن ﴿.....غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ عرفوا المنهج الصح، ولكن رغبتهم في السيطرة والطغيان منعهم من اتباع الصراط المستقيم، فأما الضالون فهم الذين تعثروا إلي الطريق الصحيح ولم يبحثوا عنه.

معاني الضالين: وهي متعددة، مثل:

- ﴿... فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] علي لسان موسي، عليه الصلاة والسلام، أي لا أعرف أين الحقيقة، أي أنني لم أعرف الحقيقة، ولم أعدل عنها.
- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ﴾[2] عن سيد الخلق - ﴿ﷺ﴾ - الذي كان يرى سبل الجاهلية وطرائقها، ليس لديه من السماء منهج ولا سبيل، فهداه الله.
- ﴿... أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ...﴾[1]؛ أي: تنسى.

---

١) سورة الشعراء، آية ٢٠.
٢) سورة الضحى، آية ٧.

إذن فكلمة (الضلال) تأتي بمعاني متعددة، أو أن: (المغضوب عليهم) لم يكتفوا بضلال نفوسهم، وإنما حاولوا أن يضللوا غيرهم، الذين يضلون هذا قِسْم، والذين (يُضلون) بضم الياء قسم آخر، إذن المغضوب عليهم من ضلوا وأضلوا و(الضالون) ضلوا، لكنهم لم يضلوا غيرهم، قال تعالي: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.(٢).

وقال الذين ﴿...ٱتَّبَعُواْ...﴾: ﴿... لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٣).

ولذا فإن فاتحة الكتاب يكررها ١٧ مرة في اليوم، وإن شاء زاد عنها، لماذا ؟ لأنها مشتملة علي العقائد وعلي الأحكام، وعلي القصص ومطلوبات القرآن لا تتعدي هذا (عقائد وأحكام وقصص) هكذا:

- **العقائد:** الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

---

١) سورة البقرة، آية ٢٨٢.
٢) سورة البقرة، آية ١٦٦.
٣) سورة البقرة، آية ١٦٦-١٦٧.

- **الأحكام:** إياك نعبد، وإياك نستعين.

- **القصص:** ويتمحور حول: قصص من اهتـــدي بالصـــراط المستقيم، من أنعم الله عليهم، ثم المغضوب عليهم، ثم: (الضالين) ولكل محور من المحاور الثلاثة قوم يمثلونهم واقعاً في الحياة، كما مثله الله قولاً.

ثم ختم الشيخ الحلقة بالدعاء.

الحلقة الأخيرة من تفسير سورة الفاتحة

بدأ الشيخ بتلخيص ما سبق من تفسير سورة الفاتحة، منثنياً علي كليمة (آمين) هي ليست من القرآن، بل مما علمه جبرائيل لسيد الخلق ﴿ﷺ﴾ الذي علمها لنا – نحن العباد – جيلاً عن جيل:

هل (آمين) عربية: أو مقترضة إلي العربية ؟ معناها استجب يا رب فيما دعوناك به، فإن الدعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ دعاء بمطلوب، و(آمين) دعاء بتحقيق المطلوب فقط، دون زيادة عليه.

هذى (الكليمة) اختلف العلماء فيها، هل هي عربية أم غير عربية ؟ يقصدون بذلك أصالة وجودها في العربية، أم هي غير عربية، أي منقولة من لغات أُخر ؟ فيعترض بعض العلماء كيف يكون في القرآن العربي ألفاظ غير عربية ؟! ولهؤلاء يقول الشيخ: إن ورود كلمة من أصل غير عربي لا ينفي أن القرآن كله عربي لأن معني أنه عربي أنه إذا خوطب به العرب فهموه، فهب أن ألفاظاً دخلت في لسان العرب من لغات أُخر قبل أن ينزل القرآن ثم دارت علي الألسن وشاعت وذاعت، ولاكتها أساليب البيان عند الناس فأصبح الذين يسمعونها علي أنها من العربية، فحين يأتي القرآن بما دار علي ألسنه العرب وألفته الآذان قيل إنه عربي.

ليس المراد بالعربي المولود العربي والأصل، كلا: إنما المراد أن القرآن نزل بهذا اللفظ، وهو له شيوع علي ألسنة العــرب لا عن أي شيوع آخر فاستقبلته الأجيال العربية لا تفرقه بينه وبين أي لفظ آخر من أصل عربي، لأن استعماله أصبح عربياً، وهو ما يعني أن القرآن لم ينشئ كلمة جديدة من غير العربية؛ إنمــا جاء بكلمات ليست عربية الميلاد والأصل، إلا أنها ساعة نــزول القرآن شاعت شيوع اللفظ العربي.

لكن ما هي اللغة ؟ عبارة عن ألفاظ يصــطلح علــي معانيهــا، بحيث إذا أطلق اللفظ فهم المعني و(آمين) كانت مســتعملة بمعنــي استجب.

ويتطرق الشيخ إلي أن كلمة (آمين) وهي ليست من الفاتحــة – التي من أسمائها الكنز – إلي درس نحوي بالغ الأهمية فــي فهــم النحو والإعراب، نفصله بعد أن نبدي من عندياتنا هذى الملاحظ:

١- المصطلح (كلمة) يرتبط بالصرف والنحــو، فــي حــين يرتبط المصطلح (لفظ) أو (لفظة) إلي علــم الدلالــة، أو المعني.

٢- إنا نعرف اللغة بأنها نظام عام يتألف من أنظمة فرعيــة، مثل البناء مكون من طوابق، هيه:

- النظام الصوتي: ويدرسه علم الأصوات.
- النظام الصرفي: ويدرسه علم الصرف.
- النظام النحوي: يدرسه علم النحو.
- النظام الدلالي: يقوم به علم الدلالة.
- النظام المعجمي: يتعهد به علم المعاجم.

فالصرف نظام الكلمة المفردة، والنحو نظام الجملة وتركبها من الكليمات، كما أن النحو ليس الإعراب، والإعراب ليس النحو، إنما الإعراب جزء من النحو.

فما العربي الأصيل من ألفاظ القرآن، وما هو الدخيل؟ فإنا نحلل لفيظة لفيظة من هاتيك الألفاظ التي تجاول العلماء حول أصلها وفصلها، كما قلنا عن بعض الكليمات التي في الرسم المصحفي مخالفة للرسم الحديث، لا ننظر فيها جملة، بل ننظر في كل كلمة علي حدة، كما نفعل الآن.

فلفظة (آمين) هي عربية في رأينا، وهي من مادة (أ م ن) العربية يدلنا علي أن هذى اللفظة عربية الأصل، لكن هناك من قال منهم – العلماء – بأنها من أصل حبشي، هذى الحبشية هي في الأصل جائية من لهجة عربية، هذى اللغة من أصل يمني من لهجة سبأ اليمانية، فإن كان الأمر كذلك فهذى بضاعتنا ردت إليها.

والرأي الثاني أنه من المشترك الســامي، كيــف ؟ إن هــذى اللغيات التي ادعى أنها سامية، جاءت كلها من أصل عربي.

فإن القائلين بالسامية يــرون أن اللغــة الســامية الأم ليســت موجودة، أو لم تعد موجودة، ولكن العربية هــي الأقــرب إلــي السامية الأولي، فهذى الأخيرة ليست إلا العربية، فــإن نظريــة اللغات السامية أصبحت مشروخة ومرجوحة، إنما هي اللغــات العروبية وليس السامية.

وفي النهاية نحن مع من قال بأن لفظة (آمين) هــي عربيــة عربية، عربية من مادة (أ م ن) والله أعلي وأعلم.

أقسام الكلمة: يقدم الشيخ درساً متميزاً من أقسام الكلمة العربية بادئاً مفتتحاً بأن (آمين) ليست اسماً، ولا هي فعل، إنما هي اســم يدل علي الفعل، كيف ؟ هذا ما يشرحه الشيخ"

لا تخرج اللغة – أو قل الجملة – العربية لا تخرج من:

– اسم. – وفعل. – وحرف.

الثلاثة السابقة كل منها كلمة، والاسم كلمة، والفعــل كلمــة، والحرف كلمة، هذى الكليمة لها معني في ذاتها، لكن هذا المعني أهو مستقل بالفهم، أم غير مستقل بالفهم ؟ إذا قلت: محمد، فهمت الشخص الذي سمى بهذا الاسم، فصار له معني مستقل بــالفهم،

كتب كلمة أخرى لها معني مستقل بالفهم، وكلمة (في) لها معني مستقل بالفهم، لأنها تدل علي شيء في شيء، ولكن مـــاذا فـــي ماذا؟ لا نعرف، لقد دلت علي معني، وهو الظرفية، لكنه غيـــر مستقل بالفهم، لأنك يجب أن تقول: (إيه) في (إيه) لكنْ (محمـــد) دلت علي معني مستقل بالفهم، و(كتب) دلت علي معني مســـتقل بالفهم أيضاً.

أما (في) فقد دلت علي معني فقط، وهي (الظرفية) و(علي) علي الاستعلاء لكن (إيه) علي (إيه) لا نعرف، أي معني غيـــر مســـتقل بالفهم، وهو أن نقول: (الماء في الكوب) أو: (محمد علي الفرس).

إذن الكلمات الثلاثة لها معان/ معاني، لكن مرة مستقلة بالفهم، ومرة غير مستقلة بالفهم، هذا الضرب الأخيـــر غيـــر المســـتقل بالفهم نسميه بالحرف، يحتاج إلي متعلق، مثل: كتب بـــالعلم، أو تصدق بالدرهم، إذن فالحرف لا يظهر إلا بضمه إلي شيء، لكن الاسم والفعل لكل منهما معني مستقل بالفهم.

فإن كان الأمر كذلك، كلا النوعين ذو معني مستقل في الفرق بين الأسماء والأفعال، هذى الأخيرة (الأفعال) يحتاج إلي زمـــن يقع فيه، وبه يرتبط، لكن الأسماء ليست كذلك فلا ارتبـــاط لهـــا بالزمن، من بعيد أو من قريب:

إذن:

- الأسماء لها معني، وليس الزمن جزءاً، ولا يرتبط به.
- الأفعال لها معني، الزمن جزء منه، مرتبط به.
- الحرف تدل على معني غير مستقل بالفهم.

فما علامة الفعل أن يسند إليه تاء الفاعل:

- كتبتُ، بناء مضمومة للدلالة علي المتكلم.
- كتبتَ، بتاء مفتوحة دلالة علي المخاطب.
- كتبتِ، بتاء مكسورة للمخاطبة المؤنثة.

مع ملاحظة أن بعض الناس يخطئ في هذى الأخيرة بتحويلها إلي ياء مد خلطاً بين هذى الكسرة والتاء قبلها وبين ياء المخاطبة، كما في: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ...﴾[1]، انتبه عزيزي القارئ: ياء المخاطبة لا تدخل علي الماضي بتة بتة، إنما ياء المخاطبة اختصاصها الأمر والمضارع، وليس الماضي البتة البتة.

إذن تاء الفاعل (للمتكلم والمخاطب والمخاطبة) من علامات الأفعال لأنها تدخل عليها، ولا تدخل علي اسم بتة بتة.

١) سورة مريم، آية ٢٦.

كما يلاحظ علي هذى الضمائر أنها مبنية، في محل رفع فاعل، في المتكلم مبنية علي الضم، وفي المخاطب مبنية علي الفتح، وفي المخاطبة مبنية علي الكسرة، أي القصيرة فقط، لأن إشباعها إلي ياء مد خطأ صريح صراح، قريب من الفضح والافتضاح[1] والفضاح.

فإن رأيت كليمة تدل علي زمن لكنها لا تقبل علامات الفعل، فقل هي (اسم فعل) وآمين من هذا النوع هي ليست فعلاً، لكن معناها فعل، وهي لا تقبل علامات الفعل (تاء التأنيث) أو (تاء الفاعل) ولذا تسمى: اسم فعل.

إذن فالكلمة العربية (اسم وفعل وحرف) ثم هذى (الخالفة) التي تسمي: (اسم فعل) وهذا ما نستعمله كثيراً، مثل:

- آه : هي اسم لفعل هو: (أتوجع) اسم فعل مضارع.
- أف : اسم فعل بمعني - أتضجر.
- هيهات : اسم فعل ماض / ماضي بمعني بعد.

آمين: اسم فعل أمر، مرة تقولها وأنت القارئ، ومرة تقولها وأنت السامع، فلا يقتصر الأمر علي القارئ فقط، بل علي

---

١) راجع تفصيل علامات الأسماء والأفعال في مقدمة كتابنا (الصرف والنحو، قراءة جديدة)، القاهرة ٢٠٠٦.

السامع أيضاً يدعوان ثم يطلبون من ربهما الإجابة أيضاً؛ لشـــدة الرغبة في الإجابة، فالمؤمن احد الداعيين.

فحين دعا الله موسي – عليه الصلاة والسلام – لما دعا علي قوم فرعون وملئه قـــائلاً: ﴿...رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ...﴾[1].

قـــــال الله: ﴿...قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا...﴾[2]، أي هـــــارون وموسى، ولم يقل: قد أجيبت دعوتك، يا موسي، فهارون لم يدع، إنما آمّن علي دعاء موسي، فقال عقب دعاء آخيه (آمين) فكأنما شارك في الدعاء، فالمؤمِّن علي الدعاء كالداعي.

مفهوم الربوبية: في أول الفاتحة، بعد البســملة مباشــرة بــدأ الخالق بأهم صفة وأعمها، وهي الربوبية، فقال: (الحمــد لله رب العالمين) فما مفهوم الربوبية – يا يرحمك الله – ؟ رسمها الشيخ رسماً دقيقاً غاية البراعة والتوفيق، كيف ؟:

الربوبية تقتضي الإيجاد من عدم، والإمداد من عدم والهدايــة بالقيم، فهل التربية بالإطعام والإسقاء والإسكان والكسوة فقــط ؟

---

1) سورة يونس، آية ٨٨.
2) سورة يونس، آية ٨٩.

كلا كلا، لابد من القيم والأدب، وهما أهم مما سبقها، فلا يكـــون رباً حقيقياً إلا إذا أمد المادة والقيم قبلها.

كلمة (رب العالمين) تفيد أنه مُربٍ، وما دام الله مربياً فلابـــد من كل ما سبق، وقد فصل الله هذا في قرآنه:

خص الأمر المادي باستهلال بعض السور، والأمر القيمي في سور أخر:

١- فـــي ســـورة الأنعـــام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ...﴾[1]؛ كلام مادي كلـــه، امتنان بالنعائم المادية التي تقيم مادية الإنسان في الكون.

٢- في سورة الكهف: القيم وحـــدها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا...﴾[2].

٣- في سورة فـــاطر: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ...﴾[3].

٤- وفي سورة ســـبأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[4].

---

١) سورة الأنعام، آية ١.
٢) سورة الكهف، آية ١-٢.
٣) سورة فاطر، آية ١.
٤) سورة سبأ، آية ١.

فقد يتوهل متوهل أو تائه أن الله قد خلق هذا كله، ثــم تخلــى عن الكون يسير ويدور ويدار حسب الرغبة والهوى، وهذا مــا ينفيه قوله تعــالي: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ كل هذا وما يحويه لا يزال ملكاً لله خاضعاً له.

كل ما سبق مادي وقيمي وغيرهما في مفهوم (رب العالمين) أي الربوبية، والذي شمل المادة والقيم وما جمع بينهما.

عود إلي مفهوم الحمد: هذا الحمد حمد للأنعم في الدنيا، التــي تفوتها أو تفوتك، إذن هذا حمد في الدنيا، لكن الحمــد الحقيقــي يأتي عندما ترى نعائم الجنة، فتقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ...﴾(1)؛ فهذا حمد لا نهاية للحمد فيه، لكن الحمد في الدنيا فيه نهاية لهذى النعماء الدنيوية، التي يمكن أن تنتهي، انظر إلي الآية: ﴿...ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ...﴾(2).

إذن بدأ الحمد بالنعم التي قد تفوتك أو تفوتها إلي النعم التــي لا تفوت ولا تفــات، ثــم: ﴿...وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(3).

---

1) سورة الزمر، آية ٧٤.
2) سورة الزمر، آية ٧٣.
3) سورة يونس، آية ١٠.

وهنا يلفت الشيخ النظر إلي عدة ملاحظ وخواطر، هيه:

١- إن علي المؤمن أن يثمِّر هذا الفتح، ويثوره - يخرج فوائده - كما يثور الكنز ليخرج ما فيه، فإذا كان الحق قد أمرنا أن نبدأ أي عمل ذي بال بقولنا (بسم الله) فيجب أن نثمر هذا الأمر، أي نزيد فيه وفي فوائده، فتقول: (بسم الله الرحمن الرحيم) عند بدء كل عمل، ولنستدرك ما فات من نعم لم تبدأ بالتسمية، أي أن التسمية جاءت قضاء، تقضي ما عليك، وبسم الله عن كل عمل نسى صاحبه البسملة، أي عما فاتك أنت أو غيرك من عباد الرحمن، فيعطيك الله شحنة بركة في كل ما تأتيه مضاعفاً مضاعفاً بنيتك فيه.

٢- وإذا كان هذا في (بسم الله ....) فيجب أن يكون الأمر كذلك في (الحمد لله) التي تقولها في مشاهدة أي نعم، ما كانت ثمرة عملنا، فكل هذى النعم في الكون كله لم تك ثمرة عملك، في مقابل نعم كانت ثمرة عملك، فاستقبالك كلا النوعين من العمل بالحمد لله الذي تفضل بها من غير حول منا، ولا طول، والحمد لله علي كل نعمة نسيت فيها الحمد لله، كما فعلنا وقلنا في البسملة، والحمد لله علي كل منعم عليه تسمى الحمد لله، وبذا نكون قد أخذنا بركات فاتحة الكتاب كلها.

بعد فاتحة الكتاب: جاءت سورة البقرة في ترتيب المصـــحف، فهذى تسميه عجيبة، خاصة في البيئة العربية، حيث لم تك البقرة في يوم ما من نَعمها وحيواتها، فلا يعرفها العرب، وهي سورة مدنية، وعندها بدأ الشيخ في:

مفهوم المكي والمدني: من القرآن الكريم، فأفاض فيه إفاضـــة وتوضيحاً، كيف ؟ يجيب – رحمة الله عليه – مكـــة والمدينـــة مكانان مقدسان، الأول مطلع النبوة، والثاني دار هجرتـــه، الأول فيه بيت الله، والثاني فيه المسجد النبوي.

حين نقول مكي ومدني في القرآن لابد أن نلحظ ما يلي:

– هنـــــــاك:

– حدث.

– ومكان للحدث.

– وزمان للحدث.

فكل فعل من الأفعال لابد له من زمان يقع فيه، ومكان يقع فيه، أي (الظرف) = ظرف الزمان + ظرف المكان، فحـــين نقـــول: (كتب) فلابد لها من زمان في الماضي، لكن أين حصلت الكتابة ؟ في المسجد، في البيت، هذا هو المكان، والأهم أن هذا الفعل لابـــد له من فاعل، وإن كان متعدياً فله مفعول، أو من حقـــه المفعـــول، وله أيضاً سبب يدفع له، وله قوة تقدر عليه، إذن عندنا الآن:

- فاعل.
- مفعول.
- زمان.
- مكان.
- سبب.
- قدرة علي الفعل.

هذى هي عناصر كل حدث ومن ثم لابد للإنسان أن يكون مؤدباً حصيفاً.

فإذا أقبل علي أي فعل فل ينبغي أن يقول سوف أفعل كذا، لأنه لا يملك واحداً من هاتيك العناصر:

١- لا يمكن أن يبقى فاعلاً، يمكن أن يموت، فإذا قال: (سأذهب غداً إلي المكان الفلاني) فهل تضمن أن تبقى أيها القائل؟ لا تضمن، إذن فقد منك وضاع هذا العنصر.

٢- وفي العنصر الثاني (سأقابل فلاناً) فهل تضمن أن فلاناً سيكون جاهزاً قابلاً لمقابلتك؟ كلا.

٣- سأقابله في فندق كذا؟ فهل تضمن أن يبقي الفندق إلي الغد؟

٤- وسبب المقابلة، مبررها ومسوغاتها؟ يمكن للسبب أن يتغير.

٥- والقدرة علي ذياك العمل ؟ هب أن مرضاً داهمك؟ فلم تملك هذا العنصر، ولا ما قبله !!

إذن يا مؤمن تأدب مع الله، ولا تقل إني فاعل ذلك غداً، وقل: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ...﴾[1]؛ بهذا تعصم نفسك من الكذب، فإذا لم تذهب قلت: (ما شاء ربي) ولم تتجرأ علي شيء لم تفعله ولم تفتئت.

إذن نزول القرآن حدث، بحاجة إلي زمان ومكان، ويحتاج إلي فاعل ومنزل عليه، وهو محمد، والفاعل الله، والسبب هو هداية البشر، ثم الأهم القدرة من جانب الفاعل.

كل الأسباب مواتية لله، بقى الزمان والمكان، فما هذا الزمان وذياك المكان، وما موقعه من الإعراب هنا ؟

إن نظرات إلي الزمان الذي نزل فيه القرآن، أي في فترة مكي قلت إنه مكي، وإذا نزل في فترة المدينة، قلت: إنه مدني، أي إذا جاء القرآن قبل الهجرة، قلت هو مكي، لأن الزمن كان قبل الهجرة، وإن كان بعد الهجرة قلت: إنه مدني، أي أنك تقول هو مدني وإن نزل بمكة، أو هو مكي وإن نزل بالمدنية، مع مراعاة

١) سورة الكهف، آية ٢٤.

أن هذا الأخير لا يصح، أي أنك إذا جعلت الزمن هـو الفيصـل والفاصل، فالمكي ما كان قبل الهجرة، والمدني ما جاء بعدها.

هذا عن الزمان، والمكان إن اعتبرته فيصلا، فالمكي ما نزل في أم القرى، والمدني ما نزل في المدينة المنـورة المشـرفة، وهكذا.

ويشكوا الشيخ من أن بعض الناس يعيبـون علـي العلمـاء اختلافهم في المكي والمدني، لماذا لا يتفقون ؟! ويرد الشيخ إنما جاء الاختلاف من ناظر معتبر بالزمان، وآخر يرنو وينظر إلي المكان، فالناظر إلي الزمان المكي عنده ما نزل قبـل الهجـرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل في مكة.

أي أن من العلماء من اعتبر بالزمان، وآخرون مـن اعتبـر بالمكان، وهذا سبب الخلاف، فإذا انفكت الجهة، واختلفت زاوية الرؤية والاعتبار فلا تناقض البتة، فلا نتصيد الخلاف فـي آراء العلماء لتشككوا فيهم، لابد أن تفهموا – أيهـا المشـككون – أن الجهة منفكة، وزاوية النظر مختلفة.

ثم يتطرق الشيخ إلي الإشارة إلي مدنية سورة البقـرة، أطـول سورة في القرآن، هي مدنية، من أول ما نزل في المدينـة، يلمـح فيها الطابع المدني، الذي لا يهمل الطابع المكي – برغم مدنيتـه – لأن الطابع المكي ركز كل جهد لديه علي العقيدة، وليس الأحكـام

التي تنظم حركة الحياة للمجتمع الإيماني الذي لما يظهر بعد، حيث التركيز التركيز علي العقيدة.

فهل الطابع المدني تخلى عن الطـابع المكـي المتمثـل فـي التركيز علي العقيدة ؟ كلا، كلا، ولكن القرآن فـي مكـة كـان يجادل وثنيين، يعبدون الأصنام، كفار، لا صلة لهم بدين السماء، أو بهتت الصلة بدين السماء، علي فترة من الرسل، لكنـه فـي المدينة سيجابه جماعة لها صلة بالدين، وهم اليهود، أهل الكتاب، يقولون: عندنا وعندنا، يدلهون علي العرب، هـم أرقـى مـن العرب، لهم دين وكتاب يتبعونه، ولذا فإن القرآن في المدينة كان يجابه فريقين:

- فريق كافر ملحد.
- وآخر كتابي.

هذا الفريق الكتابي أو القوة الكتابية لو نظرنا إليها لوحدناها - وإن كانت فيها خصومة مع الإسلام - كان بها الفتح للإسـلام، وهذا من قوة الحق حين يسخر عدو الحق فـي خدمـة الحـق، هؤلاء اليهود الذين وقفوا من الإسلام هـذا الموقـف هـم مـن سيكونون سبباً في نصرة الإسلام، ليقول الله إن الحق المرسـل إليكم يمكن أن ينفذ من غبائكم.

ويستطرد الشيخ عائداً إلي دور خديجة والعم أبي طالب في نصرة الرسول (ﷺ) حيث سخرهما الله لمعاضدته ونصرته، وبعد موتهما كان يلجأ لبعض العرب، في الطائف مثلاً.

ولما استنفد الرسول الأسباب أرسل الله الأوس والخزرج – أصحاب المدينة – آنذاك – الذين أدركوا أن هذا هو النبي الذي توعدت به اليهود عرب المدينة: ﴿...وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾[1].

قائلين: "سيأتي نبي آخر الزمان، نتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم"، وعندما أدرك أهل المدينة هذى الحقيقة، قالوا: (هيا بنا نؤمن بهذا النبي حتى لا يسبقنا إليه اليهود)، وينتهي الأمر بهجرة سيد الخلق إلي طيبة.

وهنا جاء الرسول من عداوة جاهلية في مكة إلي عداوة عالمة متعلمة ومتحدية في المدينة، ساعتها برز الطابع المدني في القرآن، وذلك بصور متعددة لمجابهة الفريق الكافر، والآخر من اليهود والكتابيين، وإعداد أصحابه لمجابهة الفريقين، إضافة إلي المنافقين.

هذا النفاق لم يظهر في مكة، لكنه ظهر في المدينة، كيف؟: ﴿...وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ...﴾[2].

---

١) سورة البقرة، آية ٨٩.
٢) سورة التوبة، آية ١٠١.

ما هو السبب لظهور النفاق في المدينة دون مكة؟ النفاق يأتي عندما تظهر قوة تنافق، وقد كان المسلمون في مكة ضعافاً فـلا ينافقهم أحد، أو يهابهم، إذن فالنفاق في المدينة كان مؤشراً علي قوة الإسلام.

ولذا وجدنا في سورة البقرة المدنية معالجة أولاً لآدم وقصـته انثنت في تركيزها علي اليهود، وعلي إبراهيم، وبناء البيت، ثـم بينت شيئاً من الأحكام التي تناسب العهد المدني، مثل:

- الخمر.
- الأهلة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ...﴾(١).
- الجهاد.
- الدَّيْن.
- الربا.

بين حروف المعني والمبني: فرق الشيخ بين حروف المبـاني وحروف المعاني في حديث شيق شائق يفتتحه بقوله: جـاء فـي أولها: ﴿الٓمٓ...﴾ = ٣ حروف، وسورة البقرة ليست الوحيدة التي بدأت بهذا ؟ بـل آل عمران بعدها بدأت نفس البدايـة ﴿الٓمٓ...﴾

١) سورة البقرة، آية ١٨٩.

ثم سورة بدأت: ﴿ الٓمٓصٓ - الٓر - الٓمٓر - كٓهيعٓصٓ - طه - يسٓ - نٓ - حمٓ - حمٓ ۞ عٓسٓقٓ - طسٓمٓ ﴾[1] سورة كثيرة بـــدأت بهاتيك الحروف.

فإن سألك أحد ما معني هذى الحروف ؟ ترد: هـــذا الســـؤال غلط، لماذا ؟ لأن الحروف لا يُسأل عنه معناه، وإلا فقل لي: ما معني حرف m بالإنجليزية ؟ وما معني ٢ ؟ الحـــرف بذاتـــه لا يُسأل عن معناه، إلا إذا كان حرف معني، هناك حروف مبنـــي وحروف معني، حرف المبني منه تتكون الكليمات (كتب) مكونة من الكاف، ومن التاء، ومن الباء، أي أن كتب، مكونة من هذى الحروف الثلاثة، الكاف ليس لها معني في ذاتها إلا أنها جزء من الكليمة، وكذا التاء والباء.

لكن الكاف في مثل: (محمد كالقمر) دلت علي التشبيه، إذ هو جرف معني، وليس مبني، وفي: (كتبت بالقلم) الباء للاســـتعانة، إلا أن الباء في كتب جزء من مبني الكلمة وصياغتها، وفي مثل: (الأمر لله) اللام للملك ليس حرف مبني، بل حرف معني.

---

١) عدد التي بدأت بالحروف المقطعة ٢٩ سورة.

ومعني هذا أن حروف المباني لا دلالة لها إلا علي الصــوت فقط، أما حروف المعاني فلها دلالتها الاصطلاحية، (في) مــثلاً تدل علي الظرفية (من) تدل علي الابتــداء (إلــي) تــدل علــي الانتهاء، مثل: (سافرت من القاهرة إلي الإسكندرية)، و: (علي) تدل علي الاستعلاء، هذى كلها حروف معانٍ، لا مبانٍ.

في بدء البقرة: ﴿ الٓمٓ ...﴾ هل هي من حروف المباني أم من حروف المعاني ؟ هي من حروف المباني، فلا معني لها، ولكن لماذا بدأ الله هذى السور بهذي الحروف ؟

ويجيب الشيخ بأننا عندما كنا نتعلم الكتابة ونكتب – مــثلاً – كلمة: (كتب) كان يقول لنا معلمنا: (تهجها) أي مم تتكون (كتب) من الحروف ؟ فتقول: (كاف فتحه – كَ – تاء فتحة – تَ – باء فتحة – بَ) هذا هو التهجي.

إذن فالأمي والمتعلم ينطقان اللفظ، إلا أن المتعلم يعرف مــم يتكون هذا اللفظ، أو (هذه الكليمة من مباني حروف).

لكن الأمي لا يستطيع ولا يعرف، كلاهما (العامي والمــتعلم) ينطق الكليمات مع فارق أن المتعلم يعرف مم تتكون اللفظة مــن حروف، ولا يعرف العامي.

أي يجب أن نعرق بين اسم الحرف ومسمى الحرف (كتـــب) الكاف في الكليمة اسمها كاف مفتوحة، ولكــن مســماها (كَ)[1]، وكذا في التاء والباء، أي اسم الحرف لا يعرفه إلا المتعلم فقط.

وعليه فإذا جاء محمد بسورة مستهلة بـــــ ﴿الٓمٓر ...﴾ وهــو أمي غير متعلم بشهادة الجميع فمــن علمـــه ؟؟ أســماء هــذى الحروف، إذن هذا النطق توقيفي، سمعها من جبرائيــل، ولــذا تنطق نطقاً خاصاً، كيف؟ هي لا تنطق (ألفٌ – لامٌ – ميمٌ) لكنها تنطق ساكنة الآخر، أي: (ألفْ – لامْ – ميمْ) ومادمــت وقفــت عليها بعلامة السكون وسمعته إذن فلها معني، قال ســيد الخلــق بأن من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة، أردف: لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

ونص الحديث: من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله بـــه حســـنه، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حـــرف، و(لام) حرف، و(ميم) حرف[2].

ولكن لماذا جاءت فاتحة البقرة وغيرها بهذا الشكل، وعلي هذا النحو، أي أسماء الحروف، حروف مبانٍ، علـــي شـــكل هجـــاء

---

١) = كاف + فتحة.
٢) الحديث ٢٩١٠ في الترمذي.

وموقوفة – بدون تنوين ولا إعراب – لمـــاذا ؟ لأن هـــذا مـــن سمات المتعلم وليس الأمي، ومحمد بشهادة الجميع أمي لا يكتب ولا يقرأ، فمن أين لهذا النبي الأمي باسم ذياك الحرف ونطقـــه، والهجاء بهذي الصورة والنطق ؟! إنه دلالة علي أنه تلقاه تلقيـــاً من جبرائيل – عليه السلام – فنطق كما سمع وبه شوفه توقيفـــاً من الله – عز وجل – من طريق الوحي.

إنه ينطقها ساكنة الآخر، بلا تنوين ولا إعراب، فضلاً عن أنه يفرق بينها وبين: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾(١)؛ في سورة الشرح مع أن الشكل واحد، لأنه تلقي هذا شفاهة عـــن رب الســـماوات والأرضين.

لا فض فوك – عالمنا الجليل – ولا فـــض الله فاكـــا – ولكـــن فليسمح لي سماحة الشيخ وليسمح أحباؤه والمريدون لأقول ما يلي:

أولاً: إن الرجل جاء من تفسير سورة الفاتحة – الكنـــز – إلـــي البدء بتفسير سورة البقرة، وقد فعلنا فعله ونهجنـــا نهجـــه ونهجه، ونحونا محوه فأثبتنا ما قيل في مفتتح تفسير سورة البقرة مع نهاية سورة الفاتحة.

---

١) سورة الشرح، آية ١.

ثانياً: الحق يقال بأن ما قال الرجل بخصوص المكي والمدني وبخصوص الحروف المقطعة (حروف المبـاني) فـي مقابل حروف المعاني لهو حقيق الحق وصحيح الصـح من جميع النواحي، لكنا نضيف موكيدن كـلام الشـيخ بنص عن البنا الدمياطي في الإتحـاف[١]: فـي فـواتح السور: ﴿ الٓمٓ - الٓر - الٓمٓر - كٓهيعٓصٓ - طه - طسٓمٓ - طسٓ - يسٓ - صٓ - قٓ - نٓ﴾ ... سـكت أبـو جعفر المدني.

وسوف نناقش هذا النص مناقشة، لكـن لـدينا بعـيض مـن التفاصيل حول هذى الحروف المقطعة أوائل السور، نعود بعدها إلي تحليل نص الإتحاف، كما يلي:

- عدد الحروف المقطعة أوائل = ١٤ حرفاً.
- مواضعها: وقعت في مستهل ٢٩ سورة، هكذا:
- ﴿ الٓمٓ ﴾ البقرة، آل عمران، العنكبوت، الـروم، لقمـان، السجدة.

---

١) ص٦٣.

- ﴿ الٓمٓصٓ﴾ الأعراف.

- ﴿الٓر﴾ يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

- ﴿الٓمٓر﴾ الرعد.

- ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مريم.

- ﴿طه﴾ سورة طه.

- ﴿طسٓمٓ﴾ الشعراء، القصص.

- ﴿طسٓ﴾ النمل.

- ﴿يسٓ﴾ سورة يس.

- ﴿صٓ﴾ في سورة ص.

- ﴿حمٓ﴾ غافر، فصلت الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

- ﴿حمٓ﴾ الشورى.

- ﴿قٓ﴾ سورة ق.

- ﴿نٓ﴾ القلم.

وبعد أن راجعنا ما سبق علي المصحف نسّاءل، هل هاتيك السور تميل إلي المدنية أو المكية، أو بمعني آخر أيها مدني وأيها مكي، وما نسبة كل منها إلي الآخر.

يتصور الواهل الوهل أن هذى البدايات في هاتيك السور قد جاء في افتتاح السور المدنية، جاءت الأمور عكس ما يتصور الواهلون، قد جاءت في السور المدنية = $\frac{3}{29}$ ، وثلاث سور فقط كانت مدنية (البقرة – آل عمران – الرعد) باقي السور التي افتتحت بحروف المباني (المقطعة) = $\frac{26}{29}$؛ ستة وعشرون سورة جاءت مكية، وبقي للمدني فقط = ٣ سورة مدنية فقط، صحيح أولها كانت السورة الأطول في القرآن الكريم (البقرة) ثم آل عمران، فأما الرعد فقد جاءت متوسطة الطول.

تماماً تماما كما أن عدد السور المكية $\frac{82}{114}$ والمدنية فقط $\frac{22}{144}$ ، ومن هذى الأخيرة البقرة وآل عمران، أطول سورتين في قرآن ربي.

ومما يلحظ علي هذى الحروف المقطعة ما يلي:

إنها جميعاً من الصوامت + واحد فقط من الأصوات اللينـــة، هو الياء فقط، ولم نري رفيقتها اللينة (الــواو) مطلقــاً مطلقــاً، جاءت في افتتاح مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

أما الصوامت فقد كانـــت: (أ ح ر س ص ط ع ق ك ل م ن هــ) + الصوت اللين (ى) إذن هذى الصوامت التي جاءت في الحروف المقطعة = ١٣ حرفاً، نصف عدد الصوامت وعـــددها ٢٦ صامتاً، إذن $\frac{13}{26}$ كانوا من الصوامت، وإذا كانـــت حـــروف العربية هي مسميـــات الصـــوامت + أصـــوات اللـــين، الـــواو والياء = ٢٨ فإن نصفها فقط جاءت في هذى المقطعـــة، علـــي اعتبار أننا نستثنى (لا) = لام ألف فإن هذى اللام ألـــف، أو (لا) تعني الآن ألف المد، وهي من الحركات، ليس الصوامت البتة.

وإذا كانت القضية الأهم في القرآن الكمي هي العقيـــدة فـــإن افتتاح سور المكي بحروف المباني بنطق اسمها مع توكد أميـــة محمد الذي ما أتى بهذا من عندياته، بل أملى من رب العزة من طريق جبرائيل عليه السلام.

وانظر – يا رعاك الله – فيما تلا هذى الحـــروف المقطعـــة بشكل مباشر ملاصق، هي إما جاءت أول آية واحدة مستقلة عن باقي آيات السورة، بل بعضها جاء في آيتين ثنتين، باقي الســـور جاءت حروف المباني جزءاً من آية، عددها كما يلي:

١- في آيتين = مرة واحدة، في مفتتح الشـــورى ﴿حمٓ﴾ هـــي الآية الأولي ﴿عٓسٓقٓ﴾ هي الآية الثانية، ثم جاءت بعد ذلـــك الآية الثالثة من السورة المذكورة.

٢- جاءت الحروف المقطعة في آية واحدة مستقلة عـــن بـــاقي الآيات = ١٨ مرة، هي في سورة: (البقرة – آل عمران – الأعراف – مريم – طه – الشعراء – القصص – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة – غافر – يـــس – فصـــلت – الأحقاف – الجاثية – الزخرف – الدخان) = ١٨ سورة.

٣- جاءت في غير آية مستقلة، وفي مفتتح الآية الأولي، وهيه: (يونس – هود – يوسف – إبراهيم – الحجـــر – النمـــل – ص – ق – القلم) = ١٠ آيات.

أي أن الأكثرية كانت حــروف المبــاني فــي آيــة واحــدة مستقلـــــة $\frac{18}{29}$ ، بل جاءت سورة – وإن كانت واحدة – جاءت الحروف في آيتين ثنتين، الآية الأولي، ثم الآية الثانية هي سورة الشورى ١٨ + ١ = $\frac{19}{29}$، واضح أنها النسبة الأكبر، كما ترى، في حين جاء الحروف جزءاً من آية – كما سبق – فــي عشــر فقط $\frac{10}{29}$ ، الثلث تقريباً، تقريباً.

إذن جاءت في آية أو في آيتين ١٨ + ١ = $\frac{19}{29}$ثلث الســور جاءت فيها الحروف المقطعة مستقلة الآية، في آية، وفي أيتــين مرة فقط.

فمن يحدد الآية – بدأها ونهوها – من ؟! إنه سيدي رسول الله في قراءته أمام صحابته الذين نقلوا هذا إلي التابعين، والتــابعون نقلوا هذا إلي التابعين، جيلاً عن جيل عن جيل، حتــى وصــلنا الآن، خاصة بعد كتابته علي عهد عثمان – رضي الله عنــه – بإشراف الصحابة وإقرارهم وموافقتهم، وكامل رضاهم.

هذا التقسيم للسورة وذياك التوزيع للآيات كان من عند رسول الله، خاتم الرسل، سيد العرب والعجم، سيد الإنســان والجــان،

وبإقرار من رب العزة، بدليل أن الله لم يعاتبه في هـذا الأمـر، كما حدث عندما جاءه الأعمى، حين عبس، وعنه تولي.

إذن فالمسألة في توزيع الآيات توقيفية، أقره الـوحي، ولـذا وجدنا حروف المباني المفتتحة للسورة، مرة جاء في آية مستقلة عن باقي الآيات، ومرة في آيتين، مرة واحدة فقط، فـي سـورة واحدة فقط، هي سورة الشورى، وإن ألحقت بالآية الأولي مـن ١٠ سور من سور القرآن الكريم.

هل لأن الحروف أكثر في ﴿حمٓ - عٓسٓقٓ﴾ نعم هـي خمسـة حروف (حاء – ميم – عين – سين – قاف) لكن بداية مـريم = ٥ حروف (خمسة حروف) ولكنا نجد في بدايـة مـريم أيضـاً، خمسة حروف ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ = (الكاف – الهاء – الياء – العين – الصاد)، إلا أنها جاءت في مريم في آية واحدة فقط، وليس في آيتين؛ لأن القراءة سنة متبعة لا ابتداع ولا اختراع ولا اقتـراح، أي من قبل البشر.

والآن الآن نبدأ في تحليل هذى الحروف في سورها، وما جاء بعد الحروف المقطعة من سياق الآيات هذى، لكنا نمهـد لهـذا

بإعراب هذى الحروف في بدايات السور: كيف تعــرب هــذى الحروف ؟ إنــها حــروف، ليست حرفاً، كمــا قال سيد الخلق: (لا أقول ألفْ، لامْ حرف، ميمْ حرف، لكن: ألــف حــرف، لام حرف، ميم حرف) إذن هي حروف، ليست حرفاً واحداً مفرداً.

إلا في قليل منها، مثل: ﴿صٓ - قٓ - نٓ﴾ هي في الغالب مجموعة من الحروف قد تصل إلــي خمســة فــي: (مــريم + الشورى) وهي في الغالب من حرفين، مثل: (حا – ميم) أو مــن ثلاثة (ألفْ – لامْ – ميمْ)، أو: (ألفْ – لامْ – را) وهكذا.

لكن ما قصة الإعرابي يا يرحمك الله ؟ أنا أقول لك يا رحمك الرحيم:

١- إن الكلمة إن كانت اسماً معرباً مرفوعاً، فهو إما خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، فإن كان اسماً مبنياً كــان في محل رفع.

٢- وإن كان منصوباً – أو في محل نصب – فهــو منصــوب بفعل محذوف.

٣- وإن كان مجروراً، أو في محل جر، كان ذياك الجر بحــرف جر، لكنه محذوف، وهذا ما نجده في إعراب حروف المباني

المقطعة في افتتاح السور، كيف ؟ هذى إجابتي نقلتهـا مـن كتاب (إعراب القرآن الكريم) للدكتور محمود ياقوت:

١- هي حروف مباني / مبان (مقطعة) مبنية علي السكون لا محل لها من الإعراب، فإن كانت حرفاً واحـداً ﴿صٓ - قٓ - نٓ﴾ كانت حرفاً مبنياً علي السكون، لا محل له من الإعراب، وهذا شيء مقبول معقول.

٢- خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: (هذا - هذه ألم أو الـر) مثلاً مثلاً).

٣- هي مبتدأ، وما بعدها خبر عنها، مثل (الر، تلـك آيـات الكتاب المبين).

٤- هـي مفعـول بـه لفعـل محذوف، تقديره: اقرأ، مثل: اقرأ حمٓ ...).

٥- في محل جر بحرف جر وقسم محذوف، تقديره،: (والـم .. أو: و قٓ ...) أو: (وحق: نٓ ، أو: أقسم بحـق - صٓ .....) وهكذا.

والقسم في مفتتح السور كثير، مثلاً مثلاً: (لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد ... – والشمس وضحاها – والليل إذا يغشى – والتين والزيتون – والعصر، إن الإنسان لفي خسر) وغيرها وغيرها.

ونحبذ هنا الإعراب الأول، هي حروف مبنية علي السكون، لا محل لها من الإعراب، لكن – يا كويتب السطور – هذى حروف لها شأن خاص وشأو عالٍ، ولذا نميل إلي الإعراب الأخير، هي مجرورة بحرف قسم وجر لما لها من عظيم الشأن، والتقدير: (و: حمّ ... و: نّ) أو أقسم بحق: (حمّ - أو أقسم بحق: ن)، وهكذا دواليك.

ولكن – أيها الكويتب – حدثنا عن سياق الآيات بعيد هذى الحروف المقطعة، عندك – يا رحمك رب الأرباب = ٢٩ سورة وقعت فيها هاتيك المقطعة، أو حروف المباني، فهات ما عندك – حبا وكرامة – وهاك ما عنديا:

١- عندنا فقط ثلاث سور فقط مدنية: هي: (البقرة – آل عمران – الرعد) والباقيات سورة مكية = ٢٦،

أي: ٣ + ٢٦=٢٩ سورة جاء في مفتحها الحروف الحروف المقطعة، أي حروف مبانٍ.

أي أن معظم السور هنا مكية، تيك المرحلة التي كانت تركــز علي العقيدة تركيزاً، وهو يتناسب مع سياقها كما ســيأتي، كمــا جاءت السور الثلاث مدنية، وبرغم أنها ركزت علي الأحكــام، فإنها لم تنس العقيدة، وإن في ثلاث، هن الأكبــر فــي القــرآن الكريم، البقرة وآل عمران، ثم سورة متوسطة هي الرعد = ٤٣ آية، ولأنها آيات مدنية فهي مشمولة بالطابع المدني، طويلة هي آياتها، علي عكس الآيات المكية القصيرة القصيرة.

٢- فما هي الموضوعات التي عالجتها الآيات بعــد الحــروف المقطعة أوائل السور ؟ إنها كما يلي:

١- كل ما جاء بعيد الحروف المذكورة يتحدث عــن القــرآن والكتاب والآيات، هي تنزيل من رب العزة، عدا آيــات سور أربع، هيه:

- في سورة سيدتنا مريم -عليها السلام- قال تعالي: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً

خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.[1]

فماذا يطلب نبي الله زكريا من ربه، وما دوافعه، وما هي تخوفاته: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ...﴾[2].

فماذا تطلب يا نبـــي الله ؟ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[3].

ويستجيب ربنـــا: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[4].

ويســـتدرك نبـــي الله: ﴿...رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[5].

---

١) سورة مريم، آية ١-٣.
٢) سورة مريم، آية ٥.
٣) سورة مريم، آية ٥-٦.
٤) سورة مريم، آية ٧.
٥) سور مريم، آية ٨.

ويبدو أن نبي الله ما كان أو يتصور أن يكون له ولد، لمــاذا؟ امرأته عاقر، ومن مدة، وهو نفسه قد بلغ من الكبر عتيه: يجيب ربنــــا: ﴿...قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾(١):

فقد كان زكريا: يحتاج (وليا) هو بحاجة إلي ولي ناصـــر أو مولي، أو ابن يتبناه، يخاف الموالي بعد وفاتـــه علـــي زوجتـــه، ويخاف منهم، من أقاربه الذين كانوا يضارونه ويعيرون زوجـــه بأنها عاقر.

كل هذا من الأحداث الجسام إنما جاء بها القرآن، هذا الكتاب الذي أنزله الله علي رسوله محمد - صلي الله عليه وسلم - ومن هنا ناسب أن تبدأها تيك الأحداث بهـــذي الحـــروف المقطعـــة: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

- وفي بدء العنكبوت كانت قضية مهمة بالغة هي أن العذاب قد استبد واشتد وطيسه علي الصحب ورسولهم، فعن أبي عبـــد الله، ورسول الحق متوسد بردة له - في ظل الكعبة، فقلنـــا: ألا

---

١) سورة مريم، آية ٩.

تستنصر لنا، ألا تدعو لنا ؟ فقال: قد كان مَنْ قَبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع علي رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمة، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعا إلي حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب علي غنمه، ولكنكم تستعجلون[1]. "رواه البخاري"

ولذا كان لابد للقرآن من علاج هذى القضية المهمة والخطيرة، قال الدكتور شوقي ضيف – رحمة الله – في وجيز تفسيره[2]: سميت هذه السورة باسم العنكبوت لضرب المثل بها وببيتها، وأهم موضوعاتها وجوب صبر المؤمنين علي أذى المشركين، وما ينتظر المؤمنين من حسن الجزاء.

وعليه فإن هذى السورة افتتحت بعد ﴿ الٓمٓ ﴾ بشكل مباشر ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾[3].

---

1) موقع ابن باز.
2) ص٦٥٢.
3) سورة العنكبوت، آية ٢-٤.

تشير الآيات إلي ما حدث في الأمم السابقة مما ذكره سيد الخلق، ثم بينت الآيات حكمه فتنه المؤمنين، وهي تمييز من صدق في إيمانه، ومن كذب ثم تهديد لمشركي قريش بأنهم لن يسبقوني، بل سيعذبون علي ما اقترفوا بحق المؤمنين الصادقين.

- وفي سورة الروم: برزت قضية مهمة وخطيرة، وهي: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.(١).

لقد دار صراع مرير بين الفرس وبين الروم، انتصر الفرس أولاً؛ ففرح المشركون بهزيمة الروم، وحزن المسلمون ثم غلبت الروم بعد ذلك، كيف ؟ هذا تبرزه الحقائق التالية:

- نزلت هذه السورة عام ٧ للبعثة في مكة، إذ قال المشركون للصحابة يجادلونهم - وهم بمكة - قبل الهجرة إلي المدينة:

١) سورة الروم، آية ٢-٧.

الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستنصرون بالكتاب الذي أنزل علي نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم، وهم أهل كتاب، فسنغلبكم كما غلب الفرس الروم، فأنزل الله هذى الآيات.

- ونذكر طرفاً من الصراع بين الفرس والروم، والذي بدأ بغلبة الفرس وانتصارهم علي الروم، ثم انتصار الروم علي فارس، فنقول: انتهت سلسلة المعارك بين الفريقين، هذى السلسلة التي كانت بدأت بهزيمة الروم في معركة أنطاكية عام ٦١٣م، ولكنه خلال بضع سنين في نهاية الحرب بين الطرفين من ٦٠٢م إلي ٦٢٨، في منطقة غور الأرد، في أدنى الأرض أشدها انخفاضاً عن سطح البحر، كما أشار ابن عباس، رضي الله عنه.

أما المعركة التي غلب فيها الروم فقد كانت في نينوي ١٢/١٢/٦٢٧م، بقيادة هرقل ملك الروم.

قائد الحملات والمعارك ضد الروم كان القائد الفارسي (أبرويز) الذي قاد حملة فارسية عام ٦١١م توجت بانتصار كاسح علي الروم عام ٦١٤، لكن الرومان بقيادة هرقل أيضاً

بدأوا سلسلة معارك انتهت في عام ٦٢٨م بانتصار كاسح للروم علي الفرس، وهكذا كان الأمر.

وإن هذا المعارك بـين القـوى الكبـرى والإمبراطوريـات المتصدرة لهو عامل مهم في تآكل قوة هـذى الإمبراطوريـات، ولذا وجدنا:

- الصراع القديم بين الفرس والروم قد أضعفهما كليهما مـا مهد لانتصار القوة الصاعدة من المدينة المنـورة عليهمـا كليهما.
- ولذا كان من ذكاء الغرب أن جعل من أفغانستان مصـيدة للاتحاد السوفيتي السابق، الذي ما لبث أن انهار في بـدء تسعينيات القرن الماضي.
- والآن تدور رحى المعركة المستعرة من داخـل الاتحـاد السوفيتي السابق بين جمهوريتي روسيا وأوكرانيا – منـذ نهاية فبراير ٢٠٢٢م إلي الآن، وإلي ما شاء الله[١].
- وكان من ذكاء الغرب ترك الأُكـران يقـاتلون وحـدهم، فيقتلون، وتخرب ديارهم، في حين يحصد الغرب الجوائز:

---

١) بدء مايو ٢٠٢٢م، وهي ما تزال مستمرة إلي الآن.

* بيع الأسلحة.

* تجميد أموال الطرف المعادي لهم.

* استقطاب ملايين الأُكران الهاربين من بلادهم مستجيرين بأحضان الغرب ودياره، حتى قيل إن من هــرب مــن أوكرانيا إلي الغرب ٤/١ سكان الأُكران، سكان أوكرانيا الذين تقلصت أعداهم مــن ٥٦ مليونــاً أيــام الاتحــاد السوفيتي إلي ٤٠ مليون نسمة فقــط، والعهــدة علــي الراوي.

- إن المعركة الحامية الآن ليست بين روسيا وجارتها، لكنها في الحقيقة بين روسيا وبين الغرب، أو بين الغــرب الأوروبــي وبين الشرق الروسي؛ المعركة مستعرة اســتعاراً، إلا أنهــا ستكون بالغة الأهمية والخطورة والتأثير في مستقبل العــالم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولعلهم لا يعقلون، ولا يفهمون.

وننتقل الآن إلي موضوع آخر، في ســورة أخــرى، وهــي: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[1]: نبدأ أولاً بالإعراب الذي نرجع

---

[1]) سورة القلم، آية ١.

فيه إلي الدكتور محمد ياقوت، فنْسطر إعرابه، ثم نعقب عليه برأينا، كما يلي:

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ....﴾: هذى الحروف المقطعة أوائل السور لها عند ياقوت خمسة إعرابات – كما سبق، منها:

– نٓ : حرف لا محل له من الإعراب، أو هو مبتدأ خبره محذوف أو العكس: خبر محذوف المبتدأ، أو أن (نٓ) في محل جر بحرف جر وقسم محذوف، والتقدير: و(نٓ) أو أقسم بـ (نٓ) وأنا أميل إلي هذا المنحى، أي أن الواو في (وَٱلۡقَلَمِ) عاطفة، أي أقسم بـ (نٓ) وأقسم بـ (ٱلۡقَلَمِ)، وبما (يَسۡطُرُونَ)، ولا أميل إلي أن الواو في (وَٱلۡقَلَمِ) هي حرف قسم، بل هي عاطفة، مثل (وَمَا يَسۡطُرُونَ)، وهكذا.

فما تفسير: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ جاء في تفسير[١] الميزان: ظاهر السياق أن المراد مطلق القلم ومطلق ما يسطر

---

١) بتصرف واضح.

به، وهو المكتوب، فإن القلم وما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الإلهية، التي اهتدى إليها الإنسان، يأتي بعد الكلام في الأهمية، بل هو صورة من الكلام، هو مكتوب غير منطوق، يسجل كل شيء وهذا العلم، وهذى الكتابة.

وقد امتن الله - سبحانه وتعالي - علي الإنسان بهدايته إليهما وتعلمه إياهما، فقال عن الكلام:

- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[1].

- وقال في القلم: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾[2].

- ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3].

فقسم الله بالقلم وما يسطرون قسم بالنعمة، كما أقسم بكثير من خلقه، بما أنه - القلم - رحمة ونعمة، كالسماء والأرض والقمر والليل والنهار، إلي غير ذلك حتى التين والزيتون.

﴿... وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما مصدريه، والمراد به الكتابة، ولكن ما المراد بالقلم هنا ؟ قيل المراد به القلم الأعلى في حديث: (أنه أول ما خلق الله ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما يسطره ويكتبه الملائكة

١) سورة الرحمن، آية ٣.
٢) سورة العلق، آية ٤.
٣) سورة العلق، آية ٥.

الحفظة الكرام الكاتبون، واحتمل أن يكون المــراد بــالقلم ومــا يسطرون أصحاب القلم وما يسطرونه وما يكتبون، بشكل عــام، وكل ما سبق من الاحتمالات واردة.

وقد تناولنا الآن أربع سور بعد افتتاحها بالحروف المقطعــة، حروف المباني كلها تناولت موضوعات مهمة وأحداثاً خطيــرة، وبقي في الجعبة ٢٥ سورة بدأت عقيب هاتيك الحروف بالقرآن أو الكتاب، أو بالآيات، أو بالإشارة المباشرة إلي شيء مما سبق، فنقسمها إلي ما يلي:

أولاً: مادة (ن ز ل): التي وردت مصــدراً، ووردت فعــلاً عقيب الحروف أو مصدراً، كما يلي:

١- المصدر: وقد جاء في عدة سور = ٦ سور، هيه:

أ- **السجدة:**﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

ب- **فصلت:** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾(٢).

---

١) سورة السجدة، آية ١-٢.
٢) سورة فصلت، آية ١-٣.

جـ- غافر: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[1].

د- الجاثية: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[2].

هـ- الأحقاف: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[3].

بل ورد المصدر (تنزيل) بدون الحروف المقطعة، وقد رأينا هذا في سورة:

- **الزمر:** ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[4].

٢- ووردت مادة: (ن ز ل) فعلاً في السور الآتية:

أ- إبراهيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾[5].

---

١) سورة غافر، آية ١-٢.
٢) سورة الجاثية، آية ١-٢.
٣) سورة الأحقاف، آية ١-٢.
٤) سورة الزمر:
٥) سورة إبراهيم، آية ١.

ب- الأعـــراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١).

جـ- هـود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٢) مع ملاحظة أن الكتاب اتصف واتسم بالإحكام ثم التفصيل قبل أن ينزل، وهذا منطق وبداهة.

د- الشورى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٣)؛ وهنا استخدم الفعل (يوحى) ولي: ينزل، أو: نزّل.

هـ- في سورة آل عمران: كانت الجملة اسمية، لا فعلية، جاء في بدايتها: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾(٤)، وقد جاءت مادة (ن ز ل) فيما سبق

---

١) سورة الأعراف، آية ١-٢.
٢) سورة هود، آية ١.
٣) سورة الشورى، آية ١-٣.
٤) سورة آل عمران، آية ١-٣.

مـــرتين، قبلهمـــا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ثـــم ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ .... وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾.

و- **طــــه:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾[1]، ولكن الآيات عـــادت لاســـتخدام مادة (ن ز ل) وإن كان من نوع المصـــدر: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾[2].

ثانياً: الإشارة إلي الكتاب أو آيات الكتاب: ورت الإشـــارة إلـــي الكتاب فقط، دون الآيات، أو دون آياته في سورة البقـــرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَـٰبُ لَا رَيۡبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

في حين جاءت الإشارة للكتاب في ثماني سور، هي:

١- **يونس:** ﴿ الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَـٰتُ ٱلۡكِتَـٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[4].

٢- **يوســـف:** ﴿ الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَـٰتُ ٱلۡكِتَـٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[5].

---

١) سورة طه، آية ١-٣.
٢) سورة طه، آية ٤.
٣) سورة البقرة، آية ١-٢.
٤) سورة يونس، آية ١.
٥) سورة يوسف، آية ١-٢.

٣- **الرعد:** ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(١)؛ لاحـــظ استخدام الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ بعد الإشارة للآيات.

٤- **الحجـــر:** ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾(٢)؛ فسرت الآية ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بأنه: ﴿... وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.

٥- **الشعراء:** ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾(٣).

٦- **النمل:** ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾(٤)؛ قدم القرآن علي الكتاب.

٧- **القصص:** ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾(٥).

٨- **لقمان:** ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٦).

---

١) سورة الرعد، آية ١.
٢) سورة الحجر، آية ١.
٣) سورة الشعراء، آية ١-٢.
٤) سورة النمل، آية ١.
٥) سورة القصص، آية ١-٢.
٦) سورة لقمان، آية ١-٢.

كل ما سبق فيه إشارات إلي آيات الكتاب العزيز، كما ترى.

ثالثاً: الواو بين الحروف المقطعة وبين الكتاب: أو بين القــرآن، وهو ما جاء في ثلاث مواضع، هي:

١- **يسٓ:** ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[1].

٢- صٓ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [2].

٣- **ق:** ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾[3].

موضعان جاء فيه (والكتاب) بدل: (والقرآن) هو في ســورة الزخرف: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[4].

سورة الــدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[5].

---

١) سورة يس، آية ١-٢.
٢) سورة ص، آية ١-٢.
٣) سورة ق، آية ١-٢.
٤) سورة الزخرف، آية ١-٣.
٥) سورة الدخان، آية ١-٣.

واضح أن الواو عطفت ما بين قسمين، القسم الأول بالحروف المقطعة، ثم واو العطف التي عطفت ما بعدها علي مـــا قبلهـــا، ففي الدخان: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

هذا قسم من الله بـــ ﴿ حمٓ ﴾، وبــــــ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾، أي القرآن الكريم.

أي أن كل السياقات بعد الحروف المقطعة، ســـواء مـــا فيـــه تصريح بمادة (ن ز ل) أو مع الواو، وبعدها القرآن أو الكتـــاب، أو مع الإشارة إلي الكتاب أو القرآن أو آياتـــه ليؤكـــد الفكـــرة القرآنية من أن كل ما جاء به محمد لهو وحي وتنزيل مـــن رب العالمين، وليس من عنديات محمد، كما ادعت المكينة الإعلامية القرشية التي ادعت أن ما جاء بـــه محمـــد إن هـــو ﴿...أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾(١).

قد أفضتُ كثيراً كثيراً في الحديث عن حروف المباني أوائـــل السور؛ فهل بقي من شيء ؟ نعم في النفس شيء، هو أن قطـــع هذى الحروف في فواتح السور، فهي مقطوعة ساكنة الآخر، أو

١) سورة الفرقان، آية ٥.

كأنها موقوف عليها، أي سكون بلا إعراب أو التنوين، أي وقف أو – كأنه كذلك – فإما السكون، وإما حركة طويلة، كما في: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] = (كافْ – ها – يا – عينْ – صادْ) أو حرف مد، كما في (ها – يا) وهكذا دواليك.

هذا الوقف علي السكون منع الإدغام، كما في (ألفْ – لام – ميم) فلم تك: (ألف – لام – مَّيم) أو: (لامِّم)، ولم يك أيضاً، كما في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فلم يك (عين صّاد) بالإخفاء، وهكذا.

تذكر هنا هنا وهنالك، أيضاً بأنه في الوقف لا إعراب، ولا تنوين، وكذا في حروف المباني مفردة (ألفْ – باءْ – تاءْ – ثاءْ ....)، وكذا في الأرقام مفردة: (واحدْ – اثنانْ – ثلاثة – أربعة – خمسة ...... الخ).

والآن حان وحان الآن أن نسطر ونسرد الشيء الأخير من دراستنا هذه، وهي:

١) سورة مريم، آية ١.

الخاتمـــــة

وفي الخاتمة نسطيع نقول:

عشنا مع الشيخ – رحمه الله – في تقدمة تفسيره، أو تقدمـــة الخواطر كما يسميها، وتفسير الفاتحة فبان من ذلك أن الشيخ:

- عالم جليل.
- مبهر.
- ومغلق.
- وسابق بالعلم والخيرات.
- ومجدد هذا العصر.
- **وقد ارتكز هذا بالعلم الغزير الفياض علي عدة ركائز:**
- حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من صباه.
- تعلم في الأزهر.
- تخرجه في كلية اللغة العربية.
- اطلاعه علي ذخائر التراث العربي.
- ذاكرة حديدية لا تترك ولا تذر من شـــيء ممـــا وعتـــه أو حفظته.
- عاش في بيئات وأماكن طاهرة مقدسة مباركة، فـــي بـــلاد الحرمين، وفي مصر في حي الحسين في القاهرة.
- عقلية صافية محللة فائقة.

- عبادة لله مخلصة خالصة، قال صلي الله عليه وسلم: من أخلص العبادة لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة علي قلبه ولسانه.

وما أظن الشيخ نجا من مضمون هذا الحديث، رحمة الله - عليه - ومن ناحية أخرى فقد رأيت الشيخ - رحمه الله - أي في المنام يقدمني للحديث في محفل من الناس وبحضوره، وهو ما حفزني وشجعني علي الكتابة عنه وعن تفسيره.

كما أن أحد أصدقائي رأي الشيخ - أي في المنام - في الحجرة النبوية، وبحضور سيد الخلق، وبحضوري، والشيخ يعيب علي الناس أنهم تركوا الأصل الأصيل، واتبعوا الفروع والحواشي، أي أن الشيخ - لعله - يشكو إهمال الناس لعلمه، وقد فهم صاحبي أن الشيخ يشجع ويدفعني إلي هذا العمل الذي قمت به، وما أزمع القيام به، ولكن في الليلة الماضية ليلية ١٤ رمضان ١٤٤٣هـ استمعت إلي كلمة بين صلاة التراويح فمن أمّنا في الصلاة ينبث في كلامه بعض أفكار الشعراوي خاصة في مقدمة التفسير، وكذا في كلام بعض ضيوف[1] قناة الجزيرة سمعت أحد أساتذة الجامعة تفيض في ثنايا حديثه بشكل بارز بعض أفكار الشيخ - رحمه الله.

علي أية حال فقد عشنا مع مقدمه تفسير الشعراوي، وتفسير سورة الفاتحة، حيث جال الشيخ علي عدة مفاهيم:

---

١) منتصف رمضان السابق ١٤٤٣هـ.

- مفاهيم البسملة.
- ومفاهيم حمد الله.
- والاستعانة بالله.
- ثم فسر الحروف المقطعة أوائل السور.
- وتأكيدها أن ما جاء به محمد هو وحي منزل من عند الله، وليس من عنديات محمد ومخترعاته.

وفي مكان آخر من أحاديث الشيخ فسر للناس اعتراض قريش الكافرة علي الرسول لأنه ذهب إلي المسجد الأقصى من مكة المكرمة في جزء من الليل، في حين هم يضربون إلي بيت المقدس أعجاز الإبل شهراً ويعودون إلي مكة في شهر، يوضح الشيخ بأن الله قال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾.[1]

إن الله لا يقول: سبحان الذي سرى عبده ... كلا كلا، إن محمداً وحده لا يستطيع أن يسير من مكة إلي بيت المقدس ويعود في جزء من الليل، وإنما كانت الآية: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ .. ﴾ القدرة قدرة الله، ليست عبده ورسوله محمد، إنما قدرة الله التي لا تحدها حدود.

١) سورة الإسراء، آية ١.

كما استدعى الشيخ من ذاكرته سؤالاً: في قوله تعالي: ﴿... كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾؛ فما شأن ربك اليوم، وقد كتب القلم كل ما كان وما يكون إلي يوم القيامة، وقد جفت الأقلام وطويت الصحف، فأقتبس رد عالم التفسير علي الآية – كما سبق – أمور يبيديها – يظهرها – ولا يبتديها – يبدؤها – ومن ثم فسر الشيخ مخاطبة الله للأشياء قبل أن توجد في آية: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

فكل ما خلق الله مخلوق من أول الكون، ولكن الله يظهره فقط للإنسان والجان، ثم كان لنا وقفه مسهبة مع حروف المباني أوائل السور، جلينا جوانبها، ووفيناها حقها من الدراسة ومن التحليل.

فالحمد لله أولاً وأخراً، وصل اللهم علي محمد

وآله والصالحين من أمنه، آمين

المؤلف

أحمد مصطفى أبو الخير

خادم القرآن الكريم

١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م

فهـــرس المحتويـــات

في هذا الكتاب



دراسات للجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي (ت١٩٩٨) تقدمها ترجمة للشيخ - رحمه الله - ولسميه الإمام الشعراوي (ت ٩٧٣هـ) ثم ركائز العبقرية عند شيخنا، وهي:

- حفظ القرآن الكريم.
- تخرجه في الأزهر.
- وفي كلية اللغة العربية وتمكنه من ناصية اللغة العربية.
- اطلاع علي عيون التراث العربي.
- مع ذاكرة قوية حديدية.
- ما أدى إلي ثراء في شواهد القرآن والحديث وشعر العرب، والحكم والأمثال.
- كل هذا أثمر عن لفتات عبقرية في تفسير القرآن الكريم الذي قدمه لنا هذا الشيخ العبقري المجدد المفلق المبدع.
- ومما قدمه تفسير شيخنا أن المعركة كانت مع القرشيين حول قرآن ربي، الذي أدعى القرشيون أنه يملى علي محمد بكرة وأصيلا.
- لقد كان محمد سيد البشر أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ومع هذا فرق بين ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ....﴾، وبين: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾؛ برغم أن الكتابة في مفتتح السورتين علي شكل واحد.
- وفي الكتاب دراسة ضافية لحروف المباني أوائل السور من جميع جوانبها وتفصيلاتها.
- اختلفنا مع الشيخ في بعض المعطيات والطروحات، لكن مع أدب واحترام، بعداً وسحقاً لمن هاجم الشيخ أو عاب عليه ما لا يعاب ولا ينكر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، العلي العظيم.

المؤلف

الدكتور

أحمد مصطفي أبو الخير